سِلسِلَةُ الدِّراسَاتِ الأَخْلاقِيَّةِ ٣

بناءُ الشَّخصيَّةِ الإيمانيَّةِ لدَى الشَّبابِ المُعاصِرِ

مُقاربةٌ دينيَّةٌ اجتماعيَّة

■ الشيخ علي كريّم

مركز براثا للدراسات والبحوث
Baratha Center for Studies and Research

■ **بناء الشخصيّة الإيمانيّة لدى الشباب المعاصر**
(مقاربة دينيّة إجتماعيّة)
-الشيخ علي كريّم-

◆ رقم الطبعة: الأولى
◆ تاريخ الطبعة: ٢٠٢٦ م - ١٤٤٧هـ
◆ مكان الطبعة: بيروت - بغداد

الآراء المطروحة لا تعبر عن رأي المركز بالضرورة

© جميع الحقوق محفوظة للمركز

مَركزُ بَراثا للدّراسَاتِ وَالبُحُوثِ
بيروتَ - بَغدَادْ

Baratha Center for Studies and Research
www.barathacenter.com
barathacenter@gmail.com

سِلسِلَةُ الدِّراسَاتِ الأَخْلاقِيَّةَ (٣)

بناءُ الشَّخصيَّةِ الإيمانيَّةِ لدَى الشَّبابِ المُعاصِر
مُقاربةٌ دينيَّةٌ اجتماعيَّة

• الشيخ علي كريّم

أستاذ في الحوزة العلميّة، باحث، حائز على ماجستير في الدراسات الإسلاميّة
وإجازة في اللغة العربيّة وآدابها

مَركزُ بَراثا للدِّراسَاتِ وَالبُحوثِ
بيروت ـ بغداد

سِلسِلَةُ الدِّراسَاتِ الأَخْلاقِيَّة

في عـصرٍ خيّم فيه ظلام النفعية والتفكير المادي ومحورية الأنا، أصبح من الـضروري إعادة تقديم المنهج الخُلُقي الإسـلامي بلغـة معاصرة، لا بهدف تقريب سـبل السـعادة المعنوية إلى الشـباب وحسـب، بل باعتبار أنّ النظام الخُلُقي هو حجر الأساس للمجتمع الإسلامي المهدوي.

إنّ إعـادة المباحـث الخُلُقيَّـة إلى حـاضرة البحث والتـداول في الفضاء العام الإسـلامي يكتسـب أهمية أخرى مضاعفة من حيث إنّ قوى الانحراف وعناصر الشرّ والفسـاد قد ازدادت في هذا العـصر، أكثر من جميع العصور السّـالفة؛ فـإذا كان التّحـرك في الماضي في خطّ الإنحراف يكلّف الإنسـان مبلغًا من المال، أو شـيئًا من الجهد، ففي هذا الزّمان أصبحت أدوات الفساد في متناول الجميع.

كذلك، فبينـما كانت المقاييس والموازيـن الخُلُقيَّة محدودةً في الماضي، لكـنَّ التوسـع الهائل في العلوم الإنسـانية أنتج مجموعة من الشـبهات التي نالت من الثوابت الفطرية والإنسانية؛ لذلك، نحاول في (مركز براثا للدراسات والبحوث) الإجابة عن النقوض الفلسـفية حول أسـس الأخلاق والشـبهات المثارة، مسـتهدفين من خلال (سلسلة الدراسـات الخُلُقيَّة) تعميق الأخلاق في قلـوب الناس، و تفعيل عناصر الخير في وجدانهـم، والإنتباه إلى الخطر المحيـط بالأخلاق؛ بحيـث إنّ بعضهم أنكر فائدتها من الأسـاس، أو ذهب إلى أنّهـا غـير ضروريّة، وبعضهـم الآخر تعامـل معها من موقـع المصلحة والبراجماتية، للوصول إلى مطامعه السّياسية.

ومن لطف الله بنا، أنّنا نمتلك مصدرًا عظيمًا للمعارف الخُلُقيَّة، وهو القرآن الكريم، الذي لا يُدانيه أيّ مصدر ديني آخر في العالم، والموروث الروائي عن أهل بيت النبوّة والذي يتّصف بالغزارة والعمق الفلسفي الخُلُقي.

مقدّمة

لا شكّ بأنّ مرحلة الشَّباب تعتبر من أثمن الفرص المتاحة للإنسان لبناء نفسه معرفيًّا وصقلها وتهذيبها على المستوى الخُلُقيّ والروحي، باعتبارها المرحلة التي تتفتّح فيها نفس الشاب على آفاقٍ جديدةٍ ومختلفة، كما أنّ الجيل الشاب يُعتبر من أثمن الذخائر في المجتمعات الإنسانيّة؛ فأيّ مجتمع يريد أن ينجح ويحقّق الازدهار والتقدّم لا بدّ أن يبدأ بإعداد الجيل الشاب إعدادًا متميّزًا على مختلف المستويات، وأيُّ فشلٍ في هذا المجال سيكون مطيّةً يستغلّها الأعداء والمتآمرون للنفوذ في مشاعر وأفكار هذا الجيل وحرفه عن الثقافة الإسلاميّة، وبالتالي عن الأهداف السامية التي يريد الإسلام للشاب المسلم أن يسعى نحو تحقيقها.

ومن هنا، فإنّ تطورَ أيّ بلد مرهونٌ بتربية قدرات الشَّباب وتعليمهم وتنمية مواهبهم، لذا حظيت قضية الشَّباب دومًا باهتمام قادة الفكر والدين والسياسة في العالم على طول التاريخ البشري، وفي عالمنا المعاصر الموسوم بعصر الثورة المعلوماتية والذكاء التقني والاصطناعي لا بدّ أن يتوفّر لدى الجيل الشاب الإلمام بكلّ هذه التقنيات وتسخيرها في الجوانب الإيجابيّة ومحاولة تلافي سلبيّاتها، باعتبارهم هم المستهدفون بالدرجة الأولى من وراء هذا التطوّر التقني والتكنولوجي الهائل.

ولا شكّ أنّ خير من يعرف أحوال الشباب وكيفيّة سوقهم إلى الكمال المنشود هو خالقهم عزّ وجلّ، فهو الذي يعلم مَدى المواهب التي وهبها لهم، ويعلم حاجاتهم والتحديات التي تهدّدهم، لذلك لا بدّ من الاستفادة من تعاليم الوحي الإلهي وإرشادات الأحاديث الشريفة ومحاولة تسييلها وتقديمها بطريقة عصريّة بحيث تكون متوافقة مع مقتضيات الزمان والمكان فتتمكّن من مخاطبة هذا الجيل بما يدفعه إلى الاهتمام بما في طيّاتها وبالتالي مطالعتها والاستفادة منها أقصى استفادة ممكنة.

ورد في الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام: «إنّ لنا دولة يجيء بها الله إذا شاء. ثمّ قال: «من سَرّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر، وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق، وهو منتظر، فإن مات والقائم بعده كان له من الأجر

مثل أجر من أدركه، فجدّوا وانتظروا أيتها العصابة المرحومة»[1].

إنّ هذه الرواية تشكّل محورًا ومركزًا يكاد يختصِر في طيّاته كيفيّة العمل في مرحلة الانتظار لكي يكون هناك إعدادٌ فعليّ لدى الفرد وخصوصًا الشابّ لكي يكون من اصحاب القائم في المستقبل ومساهمًا في تحقيق المشروع الحضاري والعادل للأمّة، حيث تشير الرواية إلى ركنين أساسين وهما:

١. الانتظار بابعاده المختلفة وأهمّها:

أ. البعد الفكري للانتظارعبرفهم الجكمة الأساسيّة منه والتي تتمثّل بالتمحيص والابتلاء والغربلة وبقاء الثلّة الصادقة التي ماحكتها التجارب والبلاءات ومع ذلك ضلّت صابرةً محتسبةً.

ب. البعد النفسي للانتظار عبرالاستعداد الكامل لتطبيق أطروحة مجتمع الظهور وتعزيز الارتباط العاطفي بالمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

البعد السلوكي للانتظار: عبر ظهور آثار سيكولوجيّة ونفسيّة ملائمة للمعطى الفكري وبالتالي سلوكًا عمليًّا ملائمًا للانتظار ولعظمة الشخص المنتَظَر عبر الالتزام بالأحكام الشرعيّة، ومقارعة قوى الظلم

---

١ - محمد بن إبراهيم النعماني: الغيبة، ج١، ص٢٠٥، باب١١، ح١٦.

والاستكبار، والارتباط بالفقهاء العدول نوّاب الإمام في غيبته.

٢. العمل بالورع وبمحاسن الأخلاق؛ بأن يمتلك الشابُّ المسلم منظومة خُلُقيَّة نظريّة وعمليّة، بحيث يصبح بإمكانه التعرّف على محاسن الأخلاق وفضائلها، ومفاسد الأخلاق ورذائلها، مقدّمة للالتزام العملي بهذا المُعطى النظري. فالعمل والجدّ يتكاملان مع الانتظار والصبر وقرع الأبواب يتكاملان في تحقيق منظومة التمهيد والانتظار، بل يمكن القول إنّ الروايات تشير إلى حقيقة كون الانتظار الصحيح هو الانتظار العامل والعمليّ المنتِج، وليس الانتظار المترقّب والمتفرّج والمستهلِك لكلّ ما يأتي إليه ويَفِدُ عليه من ثقافاتٍ وقيمٍ، والصبر الصحيح هو المصابر والمرابط والحركيّ.

فبالتالي يمكن الاستنتاج وبوضوح من خلال هذه الرواية العلاقة الوطيدة والجدليّة بين الانتظار بأبعاده المختلفة وبين الالتزام بالتعاليم الخُلُقيَّة الإسلاميّة والعمل بمحاسن الأخلاق، فبها يكون المرء منتظرًا انتظارًا حقيقيًّا وبدونها لا يتحقّق أصلاً مفهوم الانتظار.

فالإنسان بعد طي مرحلة الطفولة يدخل مرحلة البلوغ الحسّاسة حيث تبدأ إدراكاته العقلية بالتفتّح وتكون إمكاناته الجسدية في طور الاكتمال؛ فيبدأ حينها مرحلةً جديدةً أيّ مرحلة الشباب، محاولاً في هذه المرحلة وعبر استخدام شتّى الأساليب إثبات نفسه وتحقيق

شخصيّته المستقلّة، فتبرز الحاجة الملحّة إلى الإرشاد والتوجيه من قبل الأهل والمربّين، ولكن مع المراعاة الشديدة للأساليب التربويّة الجذّابة في سبيل تحقيق الغاية المرجوّة، فمن الخطورة بمكان ترك الشاب يدخل معترك الحياة من دون حصانة فكرية وعقدية وفقهية وخُلُقية وسلوكية؛ لأن ذلك سوف يؤدِّي حتمًا إلى الوقوع في الذنوب والمعاصي والضياع. ولذا نجد في الأحاديث مدحًا كثيراً للشاب المؤمن الملتزم، ومن ذلك ما ورد عن رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم): «ما من شاب يدع الدنيا ولهوها وأهرم شبابه في طاعة اللّه إلا أعطاه اللّه أجر اثنين وسبعين صدِّيقًا»[1].

من هنا، ورغم أهميّة التربية والتوجيه والإرشاد في هذه المرحلة، لكنّ المسؤوليّة الأساس تقع على عاتق الشابّ؛ باعتباره أصبح يمتلك من الوعي والقدرة ما يُمكِّنه من اختيار الطريق والسبيل والصحيح، لأنّه بصفته شابًا قد صار مكلّفًا ومسؤولاً عن أفعاله وأعماله، ولا عذر له عند اللّه لو غفل عن تربية نفسه وتهذيبها وتأديبها، فالشاب المسلم ينبغي أن يلتفت إلى نفسه ليحصنها بالارتباط باللّه والاستعانة به والتوكل عليه، ثمَّ يسعى إلى أن يكون عنصرًا فاعلاً في مجتمعه، وهنا تبرز أهميّة العلم والمعرفة، وحسن اختيار الاختصاص العلميّ، وعدم التسرّب المدرسي وترك الدراسة في وقت مبكّر ومع عدم تحقيق ذلك من قبل الشابّ فيجب عليه السعي لأن يتعلم مهنةً أو حرفةً معيّنة؛ لأنّ الفراغ والبطالة في

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٤٠، ح٥٠.

هذا السنّ من أكبر المفاسد، فيجب على الشابّ أن يسعى لملأ أوقات فراغه وإلّا لن يجد سوى رفقاء السوء وحلقات الفساد منتظرةً له لكي تُشبِعَ هذه الأوقات.

من هنا سأحاول في هذه الصفحات التركيز على كلّ ما يمكن أن يبني شخصيّة الشابّ المسلم المنتظِر، بحيث يبني ذاته بناءً خُلُقيًّا إيمانيًّا جديدًا عبر تكوين شخصيّة رساليّة مستمدّا لتحقيق هذه الغاية من الآيات والروايات الشريفة ومن بعض التجارب التأليفيّة المعاصرة، عبر الإجابة عن التحديات المعاصرة للشباب، بحيث يكون هذا الجهد المتواضع محاولةً لإنارة طريقٍ أمام شابٍّ أصبح ومن غير إرادةٍ له أمام تحدياتٍ هائلة ثقافيّة، واجتماعيّة، وسياسيّة، وحضاريّة، وخُلُقيّةً بالدرجة الأولى.

الفصل الأوّل:

مرحلة الشباب مرحلة الانتقال والتغيير

لا شك في أنَّ مرحلة الشباب تعتبر من المراحل المهمة الانعطافية في حياة الفرد، لذلك فإنَّ الكلام الأول الذي سنخصصه في هذا الفصل هو تفصيل خصائص هذه المرحلة ومميّزاتها، وتقسيمها إلى مراحل جزئيَّة، وبيان أهم خصائصها.

● المبحث الأوّل: الشباب مرحلة انتقاليّة من المراحل العمريّة

أوّلًا: تعريف الشباب لغةً واصطلاحًا:

إنّ التأمّل في معاجم اللغة العربية وفي مادّة «شَبَبَ» بالتحديد يُظهِر

أنّ هذه المادّة تُستخدم غالبًا بمعنى النماء والازدهار مع حيويَّة تعتري الإنسان، فشباب الشيء أوّله وتجمع على شباب وشبان وشواب، يقول (ابن فارس) في معجم المقاييس أنّ شبَّ: «أصل واحد يدلّ على نماء الشيء وقوّته في حرارةٍ تعتريه»[١]، وقد يرادف هذا اللفظ لفظ فتى، وأصله من «فَتَيَ» بمعنى الطراوة والنّضارَة «الفاء والتاء والحرف المعتل أصلان: أحدهما يدلّ على طراوة وجِدّة، والآخر على تبيين حكم»[٢].

أمّا اصطلاحًا فقد اختلفت تعريفات الشباب اختلافًا كبيراً خصوصًا في إيجاد تحديدٍ دقيقٍ لمرحلة الشَّباب من حيث المبدأ والمُنتهى، لكنّ هناك اتّفاقًا بين مختلف هذه النظريّات على كون هذه المرحلة هي مرحلة انتقاليّة بين الطفولة والكهولة، مع اختلافٍ في مدى اتّساع أو ضيق هذه المدّة الزمنيّة؛ حيث يرجع هذا الأمر في كثيرٍ من معطياته إلى الاختلاف في تقسيم المراحل العمريّة وفق النظريّات المختلفة؛ باعتبار أنّ هذا التقسيم له دور رئيسٌ في العمليات التربوية؛ لأنّ كلّ مرحلة من المراحل التي يمرّ بها الإنسان تُعتبر ظرفًا لبعض الأحكام التربوية الخاصّة بها. وهناك عدّة تقسيمات لهذه المراحل عند علماء

١ - ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج ٣، ص ١٧٧.
٢ - ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج ٤، ص ٤٧٣.

النفس والتربية، وضعت وفق معاييرهم التي اعتمدوها في المقام ليستفيدوا منها في التربية والتحليل النفسي، فعلماء نفس النموّ ركّزوا على عمليّات وآليّات العقل والسلوك؛ حيث ركّز بعضهم على الفرد من منظورٍ كليّ، وآخرون على الوظيفة أو على الدمج بينهما[١]. أمّا في الرؤية الإسلاميّة فالتقسيم مختلف بناءً للأسس المعرفيّة الخاصّة بهذه المدرسة وارتباطها بالوحي والغيب والنصّ الديني، والقول بتعدّد العوالم ووجود الروح، والارتباط بين المعتقدات والسلوك الإنساني والمصير في الدنيا والآخرة، مضافًا إلى عقلانيّة التربية واعترافها بالجسد واحتياجاته، فلا مانع في هذا المجال من تكوين اتّجاهٍ جمع بين الاستفادة من نتائج العلوم الأخرى وأبرزها علم نفس النمو، وبين المصادر الدينية الإسلامية؛ حيث يعبر عن ذلك في كتاب فلسفة التعليم والتربية في الإسلام التي تعبّر عن رأي شخصية وازنة ومعاصرة في عالم التربية والفلسفة الإسلامية كـ (الشيخ مصباح اليزدي)، ما نصّه: «تستفيد فلسفة التربية والتعليم الإسلامية لأجل تقسيم مراحل نمو الإنسان من التوجيهات التي جاءت في الكتب الدينية اضافة للنتاجات العلمية البشرية. كما أنَّه تلعب المبادئ المقبولة في هذا المذهب دورًا بنيويًّا

١ - راجع: محمد باقر كجك ومحمّد النمر: المراحل العمريّة في التربية (نظرة تاصيليّة ومقارنة)، ص ١٢- ١٧.

في تحديد الأولويات التي على أساسها ينبني تقدم بعد من الأبعاد أو مسالة من المسائل على أخر»[١].

لقد قسّم القرآن الكريم المراحل العمريّة وفق مبدأ أساس ومنطلقٍ جوهريّ، ومع الأخذ بالاعتبار كون الناس من أصلٍ واحد في جوهر وجودهم، لكنّ لم تُقسّم القدرات والإمكانات الداخلية والخارجية بالتساوي في ما بينهم، فلا أحد مثل الآخر، ويستقرّ كلُّ واحدٍ منهم ضمن مكانةٍ معيّنة ويتمتع بمجموعة صفاتٍ وخصائص داخلية وخارجية، ولديه قدرات وإمكانات خاصَّة. والإنسان من هذه الجهة، يشمله قانونُ التقدير: ﴿**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ**﴾ [الحجر:٢١].

ثانيًا: مرحلة الشباب في المنظور القرآني

إنّ القرآن الكريم يقسِّم مراحل حياة الإنسان من حيث القوَّة والضعف إلى ثلاثة أقسام، قال تعالى:

﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ**﴾ [الروم: ٥٤]، فطبق الآية الشريفة هناك ثلاث مراحل أساس للحياة الإنسانيّة:

---

١ - مجموعة مؤلفين: فلسفة التعليم والتربية في الإسلام، ج١، ص٨٨.

١- مرحلة الضعف الأولى
٢- مرحلة القوّة.
٣- مرحلة الضعف النهائية.

وجاء في آية اخرى التعرّض لهذه المراحل الثلاث بتعابير وسياقات اخرى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا﴾ [غافر: ٦٧]

اللطيف في هاتين الآيتين الشريفتين أنّهما جعلتا المرحلة الوسطى في حياة الإنسان، وهي مرحلة الشباب بقرينة تتّبعها لمرحلة الطفولة، وقبليّتها عن مرحلة الكهولة والشيخوخة أنّها تسبغان من الصفات والنعوت الجميلة والمفعمة بالحيويّة والنشاط والازدهار على هذه المرحلة العمريّة؛ فمرحلة الشَّباب طبقًا واستنباطًا من الآيتين الشريفتين هي مرحلة القوَّة وكمال القدرة والاستطاعة، وهي مرحلة النشاط والنضارة وهي ربيع العمر والفرصة المؤاتية لبناء الذّات والإبداع.

فبعد مضيّ مرحلة الطفولة، تبدأ مرحلة أخرى أطلق عليها القرآن الكريم مصطلحًا مباشرًا وملفتًا في آن معًا، وهو مرحلة القوّة ويمكن تقسيم هذه المرحلة بدورها أيضًا إلى عدَّة مراحل، حيث تبدأ مرحلة البلوغ، بحيث تظهر استعداداتٌ معيّنة في الفرد تُختم في النهاية بالبلوغ الجنسي أو بلوغ النكاح؛ بحيث يصبح الفرد قابلاً للزواج، بعد توفّر مقتضياته، وهذا غالبًا ما يتحقّق ضمن العقد الثاني أو العقد الثالث من حياة الفرد، حين يصل الشاب في هذه المرحلة إلى ما عبرّ عنه القرآن الكريم بمصطلح (بلوغ

الأشُدّ)، بحيث ينال الشابّ المسلم قابليةً كافيةً على الصعيد الفكري والاجتماعي يتمكّن من خلالها من تنظيم أموره الاقتصادية والاجتماعية، واختيار وجهته الفكريّة والعقديّة والخُلُقيَّة في الحياة.

بعد مرحلة بلوغ الأشُدّ تبدأ المرحلة الثانية من بلوغ القوّة، وهي مرحلة الاستواء أو الاعتدال ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا**﴾ [القصص: ١٤]، في هذه المرحلة يصل الفرد إلى نهاية مرحلة التقلّبات والمشاعر المتناقضة التي قد يكون عاشها في المراحل السابقة بحيث تتبلور شخصيّته ويظهر فيها الثبات والاستقامة في حياته، وتستقرّ أموره على مختلف الصعد ليصل أخيراً إلى ما يمكن أن نسمّيه بمرحلة الاعتلاء في أواخر العقد الثالث من العمر، ففي هذا السنّ تتفتّح القابليّات العقليّة الانتاجيّة، فيصبح الشابّ ينظر إلى الأمور من فوق، ويتحرّر من كثيرٍ من الرواسب والأوهام التي كانت تقيّد شخصيّته طوال المراحل الماضية، بحيث يكون قادرًا على الابتكار والإبداع فكريًّا أو مهنيًّا.

من هنا يمكن القول إنّه وفق الرؤية القرآنيّة تبدأ مرحلة الشباب عند البلوغ وتستمرّ إلى سنّ الأربعين، وقد تبدأ إرهاصاتها وتشكّل معالمها من سنّ العاشرة. أمّا في التحديدات الاصطلاحيّة المعاصرة ففي تقريرٍ إحصائيٍ للتنمية الإنسانيّة لبرنامج العمران للأمم المتحدة جرى تحديد سنّ الشَّباب بمن سنّه بين ١٥- ٢٩ سنة، وهذا ما قد نجد له بعض الروايات المتوافقة معه ففي روايةٍ عن الإمام الصادق عليه السلام عن هذا الموضوع يقول: "إِذا زادَ

الرَّجُلُ عَلَى الثَّلاثينَ فَهُوَ كَهلٌ وإذا زادَ عَلَى الأَربَعينَ فَهُوَ شَيخٌ."[١]

وكذلك (محمد سيد فهمي) يعرّفها على أنّها «فترة من العمر تقع بين الخامسة عشر وسن الثلاثين بحيث تتّسم هذه الفترة بكثيرٍ من الخصائص كالقابلية للنمو والتعليم والقدرة على الانتاج واالابتكار والرغبة في إحداث التغييروالتطوير في المجتمع»[٢].

● المبحث الثاني: مميِّزات مرحلة الشباب وخصائصها

لكلّ مرحلة عمرية خصائصها التي تميّزها عن غيرها، فللشباب خصائص وميّزات فريدة تزيد من أهميّة الدور المنوط بهم داخل المجتمع، بحيث تجعلهم الطاقة العلميّة والفكريّة والعمليّة والشعلة الوقّادة التي تملأ المجتمع حيويّةً ونشاطًا، فهذه المرحلة هي البناء التحتي لأيّ المجتمع والقاعدة التي تتّكئ عليها جميع المراحل، فإذا صلُحَت وعُمِل عليها بالشكل اللازم انعكس ذلك على مستقبل الأمّة والمجتمع في ما بعد، وكذلك إذا فسدت فصورة المستقبل ستكون قاتمة ومليئة بالمشاكل والتحديّات، وأهمّ هذه الخصائص المميّزة:

---

١ - إبن شعبة الحرّاني: تحف العقول، ص٣٧٠.

٢ - محمد سيد فهمي: إدارة الأزمة مع الشباب، ص١٣٠.

أوّلًا: الناحية الجسمية

في مرحلة المراهقة والشباب يصل جسم الإنسان إلى مستوىً عالٍ من النضج والاكتمال، فتكتمل هرميّة الجسم طولاً واعتدالًا، وقوّةً ورشاقة، وأهمّ ما يميّز هذه المرحلة عن باقي المراحل هي جامعيّتها بين الحيوية والنشاط والطاقة، وبين تفعّل الحركة الفكريّة وتوقّدها، بحيث إذا جرى استثمارهما بشكلٍ جيّد ولم يجرِ تبددهما أنتجا وعيًا وبصيرةً واستقامةً دائمةً ومنعكسة على محيطها، أمّا مرحلة الطفولة مثلاً، ففيها يكون الطفل في قمّة النشاط والحيويّة ولكنّه يفتقر إلى الوعي والإدراك والقوّة التفكيريّة الخلّاقة، وفي مرحلة الكهولة يكون الأمر بالعكس، فبالرغم من امتلاك الكهل قوّة تفكيريّة جيّدة بل قد تكون وصلت إلى مرحلة النضوج في ذلك الوقت، لكنّ الطاقة الشباب وحيويّته تكون قد بدأت بالخُبُوّ والانطفاء، كما أنّ التأمّل في الأحاديث والروايات يبيّن أنّ الشباب نعمة يجب أداء حقّ شكرها وفقًا لقانون شكر المنعم؛ حيث إنّ الشاب سيُسأل يوم القيامة عن هذه المرحلة كيف قضاها وهل استثمر هذه النعمة من الطاقة والحيويّة والنشاط في ما يرضي ربّه، وفي الأمور والقضايا المفيدة، أم أنّه قضاها باللعب واللهو وتضييع الوقت والفراغ على مختلف المستويات، ورد في الرواية: «محمد بن أحمد الأسدي، عن رقية بنت إسحاق بن موسى بن جعفر عن أبيها، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن

أربع: عن عمره فيما أفناه، وشبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين كسبه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت»[١].

ومن خصائص هذه النعمة العظيمة أيضًا أنّها إذا فُقِدَت لا تُعَوّض، فالمال إذا تلف يمكن تعويضه، والجاه كذلك ولكن الشباب لا يمكن تعويضه.

ثانيًا: في المجال الاجتماعي

في هذا الجانب تبرز لدى الشاب متغيّرات كثيرة فبعد أن كان في مرحلة الطفولة يتقبّل أن يأمره الكبار، أضحى الآن لا يتقبّل ذلك بل يرى نفسه مستقلاً في رأيه وتوجّهاته وتحديد مساراته بعد أن بات يستشعر في نفسه القوة، بحيث ينعكس ذلك ثقةً بالنفس ورغبة في الانخراط في المجتمع ولعب دورٍ فعّالٍ فيه، من هنا يمكن عدّ هذه المرحلة مصدرًا من مصادر التغيير الاجتماعي في المجتمع؛ لأنّهم يتطلّعون باستمرار إلى تبّين ما هو جديد، كما أنّهم من أكثر الفئات تقبّلاً للتطور والتغيير، وأكثرهم تكيّفًا مع منتجات التكنولوجيا، وكما يبرز عند الشابّ في هذه المرحلة الاستعداد الكبير للإبداع والابتكار. كما يبرز لديهم الإيمان بالتغيير باعتباره ظاهرة موضوعية ومطلوبة ولكن تحتاج إلى ضوابط

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٦٨، ص١٨٠، ح٣٢.

وعدم الأخذ بالانفعال، فالتجديد والتغيير مطلوبان لكن بشرط عدم مخالفة الضوابط الشرعيّة والعقليّة.

من هنا يمكن تسمية هذه المرحلة في بُعدها السوسيولوجي بمرحلة الفرص المفتوحة، فعلى الشاب أن لا يحشر نفسه في زاويةٍ واحدة أو فكرةٍ واحدةٍ أو خيارٍ واحد، بل عليه أن يوسِّع من آفاقه الاجتماعيّة، بحيث يختار من عمله ودراسته ما يجعله مفيدًا لمجتمعه.

ثالثًا: في الجانب النفسي

تختلف الأنظار بين المدارس والاتّجاهات الفكريّة بالنسبة لغرائز الطفل وميوله الفطريّة فالنظريّة الكنسيّة السائدة وهي أنّ نفس الإنسان جُبلت بأصل الخلقة على الشرّ، وعُجنت طينته بالرذيلة والأطباع الخبيثة والسيّئة، بسبب الخطيئة الأولى التي ارتكبها النبي آدم عليه السلام، لكنّ النظرة المنصفة في موضوع خيريّة الطفل الفطريّة أو شريّته أو حياديّته: «الإشكالية التي شُغل بها الفكر الفلسفيّ والتربويّ والخُلُقيّ من حيث التساؤل عمّا إذا كان الإنسان بطبعه خيرًا أو شرّيرًا هي إشكالية زائفة، ذلك أنّ الطبيعة الفطرية للإنسان محايدة، صفحة بيضاء، مثلها مثل المادّة الخام»[1]، تفضي إلى

١ - سعيد إسماعيل علي وهاني عبد الستار فرج: فلسفة التربية رؤية تحليلية ومنظور إسلامي، ص٢٩٩.

القول إنّ الطفل في مراحل الطفولة المبكرة لا يعرف أصلاً معنى الخير أو الشر، فإن سُلّم جدلاً بميل طبيعة الطفل نحو أيٍّ منهما فهو ميل فطريّ جبلّيّ غير واعٍ، كذلك لا يمكن إنكار وجود ردّات فعل طبيعية في الطفل بأصل الخلقة، من هنا يمكن القول إنّ النظرة الصحيحة لهذه المسألة والمراعية لكلّ حيثيّاتها هي أنّ نفس الطفل بلحاظ كونها من نور الله -تعالى- فهي خير وتميل إلى الخير، وبلحاظ قوّة الشهوة والغريزة تميل إلى الشرّ، وبلحاظ كونها مختارة فهي مستعدّة لكلّ واحد من الطرفين، بمعنى أنّها غير مجبرة على أحدهما دون الآخر، وإنّما تسير باتّجاه الخير أو الشرّ نتيجة عوامل خارجية، وهنا يأتي دور التربية والتأديب والتعليم والبيئة لأخذ زمام النفس بالاتّجاه الصحيح، لكنّه مع ذلك نجد بعض الروايات التي تشير إلى كون النقاء والاستعداد التوحيدي هما الأساس في فطرة الطفل وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: كلّ مولود يولد على الفطرة، يعني المعرفة بأنّ الله عزّ وجلّ خالقه».[1] أو كما يشير الإمام علي عليه السلام في وصيّته للإمام الحسن عليه السلام : «وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شئ قبلته»[2]. من هنا لا بدّ للشاب أن يحافظ على هذه الفطرة البعيدة عن الملوّثات.

---

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٢، ص١٣.

٢ -ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٦٦.

الملاحظ في الجانب النفسي كذلك لدى الشاب هي الرغبة في الوصول السريع وتجاوز المراحل والمحطّات بسرعة دون تروٍّ وتأنٍّ، فكثيرٌ منهم قد يتركون الدراسة لمجرّد أنّه قد لاحت لهم فرصة عملٍ معيّنة، فيتصوّر الشابّ أنّ هذه الفرصة كفيلة بأن تؤمّن له الأموال والانخراط في سوق العمل ليندم بعد ذلك على هذه الخطوة المتسرّعة، كذلك بعضهم قد يقتحم بعض الشهوات المحرّمة نتيجة فوران الشهوة الجنسيّة ورغبةً في إطفائها بسرعة دون الالتقات إلى ما تقرّره الشريعة الإسلاميّة من وسائل للحدّ منها أو الصبر عليها، ليضيع بعد ذلك في المتاهات ويصعب عليه تغيير هذه العادات الفاسدة التي تاصّلت في نفسه، بل حتّى قد يقدم على الزواج المبكر دون أن يكون مهيّئًا من جميع النواحي الماديّة والنفسيّة والفكريّة لذلك، لذلك سرعان ما ينتهي هذا الزواج بالفشل.

رابعًا: في الجانب الفكري

يعاني الشاب غالبًا في مرحلة الشباب والمراهقة من الفراغ الفكري وضعف الانتماء والانشداد ففي هذه المرحلة يتفتح عقل الإنسان، وتنفجر مواهبه ويبدأ بالتفكير الدقيق، فترتسم أمام ذهنه كثير من الأسئلة وعلامات الاستفهام عن الحياة والمجتمع، فلا بدَّ له من تحصيل الأجوبة الصريحة عنها، وهو لا يرى نفسه ملزمًا بتقبّل أفكار أهله وبيئته ما دام

يستشعر الثقة بنفسه، ويحب ممارسة دور الرفض والمعارضة ويميل إلى تحمل الأخطار والمغامرات. وبذلك يكون الشاب مستعدًّا لاعتناق أي فكرة جديدة مغرية مهما كانت خطيرة، ولذلك نجد أنّ أغلب الأحزاب تحاول جاهدةً استقطاب الشباب لأنّهم عندهم الاستعداد لِأنْ يحملوا لواء الأفكار الجديدة والسير بها قُدُمًا، بل هم مستعدون للتضحية في سبيلها. لذلك، تبرز هنا أهميّة التحصين الفكري والديني والعقدي والخُلُقيّ للشاب خصوصًا في عصر العولمة والشبهات التي تستهدف أوّلاً وبالذات عقول الشباب؛ فالشباب أقلّ ارتباطًا بالواقع القائم، وأكثر إمكانية على استيعاب المتغيّرات المتجدّدة، فما هو كائن هو -دائمًا- ناقصٌ من وجهة نظرهم، من هنا فمن الخطأ التنظير دائمًا للشباب على أنّهم أفراد مثيرون للمشكلات، عبر التركيز فقط على مشاكلهم، وانفعالاتهم، وأحلامهم الزائدة، وطموحاتهم الخياليّة، ومخالفتهم وانتهاكهم للقيم الدينية والخُلُقِيّة، فكلّ ذلك يمكن استيعابه وتسييره في الطريق الصحيح ولكن بشرط التربية والتوجيه وليس الرعاية فحسب.

من هنا، تبرز أهميّة الحثّ والتشجيع للشباب والإضاءة على الجانب الملآن من الكوب في شخصيّاتهم عبر التركيز على القدرات والمواهب التي يمتلكونها، وعدم قصر النظر على المشاكل التي يثيرونها نتيجة المرحلة المتقلّبة التي يمرّون بها، ولا بدّ من الإشادة بكلِّ مؤلَّفٍ يثني على الشباب ودورهم الريادي في المجتمع كما فعل مؤخّرًا الدكتور

(عبد الجبّار الرفاعي) في كتابه (ثناءٌ على الجيل الجديد)؛ حيث ينتقد تشبّث بعض الجيل القديم وقبضتهم الحديدية على مواقع قيادة الدول المختلفة وتأسيس الحكومات، وإجهاضهم لأي محاولة تسعى لتمكين الجيل الجديد من قيادة المؤسسات والمنظمات والأحزاب مع ضرورة ذلك وأهميّته، بحيث تُعطى الفرصة لهذ الجيل الواعد والمدرك أكثر من غيره لتحديّات العصر والتقنيّات والوسائل اللازمة لمواجهتها، هنا فالحلّ الأمثل يتمثّل في التفاهم بين الجيلين، فهو وحده كفيلٌ بأن يؤدّي إلى انعدام هذه الفجوة؛ فيفهم كلُّ جيلٍ الجيلَ الآخر وتنفتح قنوات التفاهم والاحترام بينهما، الأمر الذي من شأنه أن يجعل حياة كلّ منهما أكثر سلامًا وصحةً نفسيةً، وأعظم عطاءً وإثمارًا.

● المبحث الثالث: المراهقة مرحلة متوافقة أو مضطربة

أوّلًا: المراهقة مرحلة للاضطراب والتوتّر

نظرًا لأنّ محور البحث هو بناء الشخصيّة الإيمانيّة لدى الشاب، لا بدّ من إفراد الحديث عن أحد أهمّ المراحل في حياة الشاب وأكثرها مفصليّةً في مسيرته الإيمانيّة التكامليّة وهي ما اصطُلِحَ على تسميته بمرحلة المراهقة؛ حيث صارت هذه المرحلة مقترنةً لدى الكثير من المربّين بالشغب والطيش وعدم المبالاة، فيضيع فيها الناشئة عند بداية

شبابهم، وربما يستمر هذا الضياع مدى العمر بل جعلها بعضهم سنًّا للانحراف بالضرورة، بحيث لا بدّ من اللجوء إلى المنهج التبريري لتصرّفات الشاب في هذه المرحلة باعتباره منهجًا وحيدًا في كيفيّة التصرّف معه، كأنّ مرحلة المراهقة خارجة عن المبدأ العامّ الذي يؤصّل له الإسلام، وهو اختياريّة السلوك الإنساني في كلّ المراحل العمريّة. نعم، قد تؤثّر الفروقات الفرديّة والبيئة الاجتماعيّة في تحقيق التوازن في السلوك أو عدمه، لكنّ ذلك لا يصل إلى حتميّة الاستقامة أو الانحراف بحسب تلك الظروف، وقد يكون السبب في هذه النظرة القاتمة والسلبيّة لمرحلة المراهقة هو التأثّر بما أصلّ بعض المفكّرون الغربيّون حول هذه المرحلة.

فـ (ستانللي هول- G. Stanley Hall)[1] الذي يُنسب له تأسيس علم نفس المراهقة عام١٩١٧م عندما ألّفَ كتابه عن فترة المراهقة والبلوغ، ركّز على أن المراهقة مرحلة ثورة وتوتر وفترة عواصف وتوتر وشدة، تكتنفها الأزمات النفسية، وتسودها المعاناة والإحباط والصراع والقلق والمشكلات وصعوبات التوافق[2]، فالمراهقة وفق هذا الاتّجاه أشبه بحلم طويل في ليل مظلم تتخلّله أضواء ساطعة تخطف البصر أكثر مما

١ - عالم نفس أمريكي يتركز اهتمامه على النمو في الطفولة والنظرية التطورية.
٢ - حامد عبد السلام زهران: التوجيه والإرشاد النفسي، ج١، ص٤٦٤.

تضيء الطريق، فيشعر المراهق بالضياع ثمَّ يجد نفسه عند النضج، وقد وصلت المبالغة عند بعضهم إلى حدٍّ وصف المراهقة بالعاصفة أو بأنها مرحلة جنون (Madness) لدرجة أن يعتبر (ستانللي هول) المراهقين مرضى يحتاجون إلى المعالجة الطبية والنفسية. نعم، قد ورد في بعض الروايات عن رسول الله ﷺ: "الشباب شُعبةٌ من الجنون"[1]، لكنَّه لا ينبغي حمل الحديث على ظاهره خصوصًا مع مقارنته بما ورد من مضامين كثيرة تمدح مرحلة الشباب وتعتبرها المرحلة الأنسب للرقي والتقدّم على مختلف المجالات. من هنا، نجد النَّبي الأكرم ﷺ يركّز جهوده في أول البعثة على دعوة عنصر الشَّباب إلى الإسلام باعتبارهم أرقّ قلوبًا، وقد حقّق في هذا المقام نتائج مميّزة عبر استثماره في عنصر الشباب، فعلى أكتافهم قام الدين وبقوّة شكيمتهم وشجاعتهم اتّسع في الأمصار، فهم الذين خاضوا الحروب والغزوات، كبدر وحنين وغيرها. وهم الذين حملوا همّ الدعوة الإسلاميّة واهتدى على أيديهم كثيرون، ويكفي أن نذكر في هذا المجال إمام المتّقين علي عليه السلام فما أعظم ما أبلاه هذا الشاب وقدّمه في سبيل عزّة الإسلام ومنعته، وكذلك (عمّار بن ياسر)، و(أبوذر الغفاري)، و(مصعب بن عمير)، وغيرهم كثيرون.

من هنا، فالمقصود بالشعبة من الجنون، كما في الحديث، هو أنّ الشباب

---

١ - محمد بن علي الصدوق: من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٣٧٧.

كتلة من الحيويّة والنشاط والثورة والحركة الدؤوبة على المستوى الجسدي وعلى مستوى الغريزة بل حتّى على مستوى المشاعر والأحاسيس.[١]

ثانيًا: التقسيمات المختلفة لمرحلة المراهقة.

اعتبر التربويّون في الغرب أنّ فترة المراهقة تمتدّ طيلة العقد الثاني من العمر، وقد سمّيت في الدراسات الغربيّة (The Teen Years)، وقد قسّموها إلى ثلاثة مراحل:

١. المراهقة المبكرة من (١٢-١٤) في هذه المرحلة، غالبًا ما يبدأ الأطفال في النمو بسرعة أكبر، يبدأون أيضًا في ملاحظة تغيرات واضحة في الجسم.
٢. غالبًا ما يكون المراهقون خجولين بشأن مظهرهم ويشعرون كما لو أنَّه يجري الحكم عليهم دائمًا من قبل أقرانهم.
٣. المراهقة الوسطى من (١٥-١٧) في هذا العمر، تتفتّح الغرائز الجنسيّة أكثر لدى الشباب، كما أنّهم يغلب على تصرّفاتهم الرغبة من التحرّر من القيود؛ حيث يخوضون جدالات أكثر مع آبائهم من أجل المزيد من الاستقلال، وقد يقضون وقتًا أقلّ مع العائلة والمزيد من الوقت مع الأصدقاء.

---

١ - راجع: نعيم قاسم: الشباب شعلة تُحرق أو تضيء، ص.ص٢٧ -٣١.

٤. المراهقة المتأخِّرة من (١٨-٢١)، يكون المراهقون المتأخّرون عمومًا قد أكملوا نموّهم البدني، وعادة ما يكون لديهم المزيد من التحكّم في الانفعالات وأكثر قدرةً على قياس المخاطر بالمقارنة مع المراهقين في المرحلة المتوسّطة.

والأصحّ في مقاربة هذه الفترة هو القول إنّ المراهقة مرحلة انتقال من الطفولة إلى الرشد بحيث تطرأ على الإنسان فيها مجموعة من التغيّرات السريعة والمؤثّرة على مستوى النموّ الجسمي والعقلي والنفسي والاجتماعي، وكذلك على وظائف الغدد الجنسيَّة، وقد تترافق مع بعض التوتّر والقلق والانفعال السريع والرغبة من التحرّر من القيود، وهنا يأتي دور المواكبة من قبل الأهل والمربّين بحيث يمكن تسخير كلّ هذه الحيويّة والنشاط والدفقة القويّة من النموّ عبر جعلها تنفجر كشحنة روحية شفافة صافية مشرقة، كما أنّه من الجدير ذكره أنّ فترة المراهقة قد تطول أو تقصر بحسب حضارة المجتمع، فقد تلغى فترة المراهقة وينتقل الطفل إلى مرحلة الرشد كما في المجتمع الرعوي والزراعي، وقد تطول وتتضخم فتسبّب القلق والمرض كما في المجتمعات الصناعيّة المعقّدة في الغرب.

نعم، قد نجد تقسيمًا إسلاميًّا قريبًا من التقسيم في علم التربية الغربي استنادًا إلى الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «دع ابنك يلعب سبع سنين،

ويؤدب سبعا، والزمه نفسك سبع سنين، فان أفلح وإلاّ فإنه من لا خير فيه»[1].

فالفترة الثالثة وهي من ١٤ إلى ٢١ هي تقريبًا فترة المراهقة التي جرى تقسيمها إلى مراحل ثلاثة، واللطيف في تعبير الإمام أنّه يقول للأب والمربيّ إنَّ عليه أن يلزم الشاب في هذه الفترة نفسه، أيّ بأن يجعله وزيرًا له وصديقًا له، بحيث يعترف به كشخصيّة مستقلّة بدأت بالتمظهر والتحدّد بحيث يصبح بإمكانه أن يشارك أباه في كلّ الأمور ومختلف المجالات.

ثالثًا: المراهقة مرحلة متوافقة.

من هنا نجد بعض الباحثين التربويين العرب والغربيين كانوا منصفين في مقاربة هذه الفترة عبر اعتبارها مرحلة نموّ عادي ما دام هذا النمو يسير في مجراه الطبيعي وليس من الضرورة أن يتعرّض المراهق فيه للأزمات؛ فها هو (عبد الرحمن العيسوي) يتحدّث عن أنواع المراهقة وعدم حتميّة القلق والاضطراب فيها قائلاً: «وجدير بالذكر أن النمو الجنسي في المراهقة لا يؤدي بالضرورة إلى أزمات، لكن النظم الحديثة هي المسؤولة عن أزمة المراهقة» .

---

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج١٠١، ص٩٥، ح٤٠.

ثم يعدّد أنواع المراهقة مقسِّمًا لها إلى ثلاثة اقسام:

١-مراهقة سوية خالية من المشكلات والصعوبات .

٢- مراهقة انسحابية يميل فيها الفرد إلى العزلة .

٣-مراهقة عدوانية[١].

وبالتالي يمكن القول إنّ النوعين الثاني والثالث من المراهقة يمكن تجنّبهما من خلال استغلال الوقت وصرف الطاقات وقضاء الحاجات ضمن الأطر الشرعيّة والعرفيّة والعقليّة الصحيحة، وأهمّ التحديات التي ينبغي على المراهق مواجهتها في هذه المرحلة هي محاربة وسوسات الشيطان وأن يعي ذاته ويعرف نفسه وحاجاته ومقوماته، فوعي الذات والبصمة الشخصيّة والنفسيّة هو أهمّ وسيلة لتقويمها، فلكلٍ منّا بصمته السيكولوجيّة والفيزيولوجيّة التي تختلف عن الآخرين، وبالتالي يمكن القول إنّ للشاب في هذه الفترة أربع حاجات ومطالب يسعى جاهرًا إلى تحقيقها وتأمينها وعبر العمل عليها وعلى تأمينه بالشكل الملائم نكون قد سددنا كلّ منافذ الفساد أمام هذا الشاب، وهي كلّها تندرج تحت مفهوم الأمن، وهي:

١. الأمن النفسي والصحّة النفسيّة، ويمكن تأمينهما عبر العبادة والارتباط بالله -تعالى- وربوبيته عبر الحضور الدائم في

---

١ - عبد الرحمن العيسوي: مقالة منشورة على موقع إسلام ويب،١-١-٢٠٠٢م.

المساجد، لما فيها من طاقة روحيّة إيجابيّة هائلة، مضافًا إلى ممارسة الرياضة البدنيّة، بحيث يفرّغ الشاب طاقاته المتوقّدة في هذه الميادين.

٢. الأمن الاجتماعي عبر تأمين الأصدقاء الملائمين والرفقاء الصالحين، قال رسول الله ﷺ: "المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخَالِل"[١]. وكذلك يقول الشاعر: «عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فإن القرين بالقرين يهتدي».

٣. الأمن الثقافي: عبر كثرة المطالعة والقراءة، وإكمال الدراسة وعدم تركها، ومحاولة الاستفادة من الدورات الثقافيّة المنتجة معرفيًّا.

٤. الأمن الجنسي عبر عدم الدخول في المحرّمات لإشباع الشهوة الجنسيّة المتدفّقة بل انتظار الوقت المناسب لتفريغها، أو الزواج المبكر بشرط توفّر شروطه ومقوّماته ومؤهّلاته.

من هنا، سأحاول في هذه الفصول المتبقية التوسّع في هذه المطالب كلّها، والبيان التفصيليّ لكلّ ما يمكن أن ينمّي شخصيّة الشاب ليفعله، وكلّ المعوّقات أمام هذه التنمية والتزكية لكي يعمل على اجتنابها.

---

١ - محمد بن الحسن الطوسي: الأمالي، ج٢، ص٩٥.

الفصل الثاني:

عوامل ازدهار شخصيّة الشباب

بعد أن تبيّن في الفصل السابق تعريف مرحلة الشباب وبيان خصائصها وتقسيماتها المختلفة، نشرع في هذا الفصل للبحث في عوامل ازدهار شخصيَّة الشاب، من النواحي المتعدِّدة الخُلُقيّة والعملية والفكرية.

● المبحث الأوّل: معرفة النفس مقدّمة للمعارف الأخرى

إنّ التأمّل في آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة يبرز كيف أنّهما قد اعتبرا هذه المرحلة العمريّة هي ربيع العمر وأحسن الفرص لبناء الذّات ووتقويمها وتحليتها بالفضائل وتخليتها من الرذائل والإبداع على كافة الصعد والمجالات. من هنا، لا بدّ من العمل على تحقيق أقصى استفادة ممكنة من هذا الربيع، بحيث تثمر أزهاره في المستقبل، وهذه العمليّة تبدأ بتنظيم الوقت والعمل على إعداد خطّة ملائمة تكون على رأس قائمة أولويات برنامج الحياة، والمنطلق الأساس لهذه الخطّة المتكاملة والعمود

الفقري لها هو المعرفة، فها هو أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى وصاياه لـ (كميل بن زياد) يبيّن مركزيّة المعرفة ومحوريّتها في كلّ حركات وسكنات الإنسان قائلاً له: «ما مِن حَرَكَةٍ إلّاوأنتَ مُحتاجٌ فيها إلى مَعرِفَةٍ»[١].

الخطوة الأولى في هذا النسق المعرفي المتكامل هي معرفة النفس، بأن يعرف الشاب نفسه جيّدًا، وأن يعي ذاته ومقوّماتها وحاجاتها، ويدرك الطاقات الكامنة فيها وكيفيّة استثمارها، ويتأمّل في نقاط ضعفه ليُقوّيها وفي نقاط قوّته فيبني عليها ويطوّرها، وهذه المعرفة تقي الشَّباب من خطر مرض الشعور بفقدان الهوية؛ فإذا جهل الفرد منّا نفسه وشعر بفقدان الهوية تهيّأت الأرضيّة المناسبة لأنواع الانحرافات والمفاسد وعاش حالة من الضياع والبحث عن الذات، وفي مقابل ذلك فإنّ معرفة النفس فضيلة من أرفع الفضائل، ومعرفة من أربح المعارف وأكثرها فائدة،ويكفي في بيان هذه الأهميّة الكمّ الهائل من الروايات الواردة في معرفة النفس وأهميّتها وكذلك الروايات التي وردت في خطورة الجهل بالنفس والآثار المترتّبة عليه، من هنا سأقوم باستعراض بعض الأحاديث الواردة في هذا الشأن لأهميّتها ومحوريّتها: عن الإمام علي عليه السلام: «أفضَلُ الحِكَمَةَ معرِفَةُ الإنسانِ نَفسَهُ»[٢]، وكذلك عنه عليه السلام: "مَن عَرَفَ نَفسَهُ فَقَدِ

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٧٤، ص٤١٢، ح٣٨.
٢ - محمد الريشهري: ميزان الحكمة، ج٣، ص١٨٨١.

انتَهى إلى غايَةِ كُلِّ مَعرِفَةٍ وعِلمٍ"[١].

أمّا بالنسبة للأحاديث الواردة في خطورة عدم معرفة النفس والجهل بها والآثار الوخيمة المترتّبة على ذلك ما عن علي عليه السلام: «أعظَمُ الجَهلِ جَهلُ الإنسانِ أمرَ نَفسِه»[٢]»؛ لتصل الروايات أخيرًا إلى قمّة هرم المعرفة وأعلاها قائلةً: « من عرف نفسه عرف ربّه»[٣]؛ لأنّ من يعرف نفسه حقّ المعرفة يفهم طبيعة وعلّة وغاية خلق الله -تعالى- له في هذه الدنيا بما يشكّل مقدّمة لمعرفة الخالق وإدراك توجيهاته لتحقيق التكامل الإنساني وبالتالي امتثال أوامره واجتناب نواهيه باعتبار أنّ هذه الأوامر والنواهي هي لتحقيق مصالح الإنسان ولإبعاده عن المفاسد، من هنا نفهم المضامين القرآنيّة التي تشير إلى أنّ معرفة النفس هي آية من آيات الله والاستدلال على وجوده والشعور بقربه وإحاطته ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [فُصِّلت: ٥١].

وكذلك نفهم لماذا الله تعالى قد كرّم الإنسان وفضّله على جميع مخلوقاته ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا**﴾ [الإسراء: ٧٠]؛ لأنّ

---

١ - محمد الريشهري: ميزان الحكمة، ج٣، ص١٨٧٧.

٢ - محمد الريشهري: ميزان الحكمة، ج٣، ص١٨٨١.

٣ - محمد الريشهري: ميزان الحكمة، ج٣، ص١٨٧٧.

هذا التكريم في الخلقة هو لتحقيق الغاية الأسمى للخلقة وهي العبوديّة لله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ لكي يصل الإنسان من خلال هذه العبوديّة إلى مقام الاستخلاف الإلهي ويكون مؤهّلاً له ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

فمعرفة النفس سؤال وجودي وفلسفي وحياتي، وهي في الوقت ذاته نوعٌ من الصحّة النفسيّة كما يؤكّد علم النفس، لذلك قد يتعرّض الجاهل بنفسه لأمراض الاكتئاب والقلق والتوتّر، فهي تتعلّق بفكرة النظر للمستقبل وموقع الإنسان فيه، فالإنسان إذا عرف نفسه سعى لوضعها في مكان يليق بها، وإذا كان جاهلاً بنفسه، لم يخطّط لمستقبله، كا أنّ معرفة الشاب الدقيقة بنفسه تجعله يعاملها بحسب قدراتها الواقعيّة دون إفراطٍ أو تفريط، فلا يغالي في تقويمها دون أن تستحقّ، ولا يبخسها قيمتها وحقّها، من هنا نجد (الشهيد مرتضى مطهّري) يركّز أيمّا تركيز على مسألة معرفة النفس معتبراً أنّ سعادة الإنسان وكماله يكمن في مدى اطلاعه ومعرفته بنفسه وبالعالَم، بحيث يجب عدم إعطاء أحد المعرفتين أهميّة أكثر من الآخر، وأنّ إعطاء أحدهما درجةً أكبر من الآخر كما حصل في الغرب أدّى إلى نسيان النفس وانهيار الإنسانية في الغرب. وينبّه كذلك على أنّه ليس المراد من معرفة النفس الإنسانية هو

معرفة النفس الروتينية ولا البيولوجية بل هي «الروح الإلهية» الشريفة والمقدّسة، وهي التي أشار إليها الله تعالى في كتابه الكريم قائلاً: ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [الحشر: ٣٠].

كما لا بدّ من الإشارة إلى أنّ معرفة النفس انواع، فأوّلها هو المعرفة الفطريّة بالنفس؛ فالإنسان يعرف نفسه بالذّات، وهو قبل أن يعرف أيّ شيء غير نفسه يدرك نفسه بالوجدان.

وهناك أيضًا معرفة النفس الفلسفيّة، حيث يقوم الفيلسوف بالبحث عن النفس الإنسانيَّة ماهيَّتها وحقيقتها، لكنّ أهمّ نوعين من المعرفة هما: بحث الإنسان ومحتولة معرفة صلته بالعالَم، مضافًا إلى المعرفة الروحيّة أو ما يعبرّ عنه بالعرفانيّة، بحيث يكون همّ الإنسان الأساس هو معرفة الله تعالى وموقع نفسه من خالقها وكيفيّة الوصول إلى قربه.

● المبحث الثاني: بناء الذات من الناحية المعرفيّة

بعد أن جرى في المبحث السابق تبيين أهميّة معرفة النفس وأنواعها ومحوريّتها؛ لا بدّ من القول إنّ هذه المعرفة هي الخطوة الأولى والمقدّمة والبنية التحتيّة لتحصيل الكمالات الأخرى والمعارف المنشودة في تحقيق بناء الذات الذي تلعب عدّة عوامل في تحقيقه وبلورته بالشكل المثاليّ وأهمّها:

أوّلًا: تحصيل المعارف المتنوّعة عبر الحفاظ على الأصالة والتجديد.

١-أهميّة المواكبة لعلوم العصر

أمام هذا العصر المتسارع بالأحداث والتطوّرات العلميّة والتكنولوجيّة الهائلة على مختلف المستويات، يعتبر العلم والتعلّم وتحصيل الثقافة العامّة في مختلف الميادين أفعل أدوات التحصين للشاب في هذا العصر بحيث يمكنه من خلال ذلك مواجهة مختلف الشبهات والمشاركة في إنتاج المعرفة، فيحاول الدمج بين بين المصطلحات الرائجة في هذا المجال، كالتمدُّن، والحضارة، والتجديد، والحداثة، ولكن مع صبغها بالصبغة الإسلاميّة والحفاظ على الأصالة، فهذه المصطلحات فضفاضة بحيث تجمع في طيّاتها ما هو مقبول ومستحسن، وكذلك ما هو منبوذٌ ومستهجن، خصوصًا مع الترويج لنمط الحداثة الغربي بما فيه من التحلّل من كلّ القيود، والحريّة المطلقة، والتركيز على الفردانيّة، وإعدام روح الجماعة، بحيث تطغى المادّة والمال على كلّ شيء، وتتبدّل المعايير والقيم وتنقلب رأسًا على عقب، فيصبح الهمّ الأوحد لإنسان هذا العصر هو تحصيل المال والقوّة، فتطغى سياسة الاستعمار والهيمنة وتشيع المنكرات والشذوذ الجنسي، فيفقد هذا الإنسان كلّ عناصر الطمأنينة والاستقرار النفسي. من هنا نجد الكمّ الهائل من الآيات والروايات التي حثّت على التعلّم والتفقّه والدراية بعلوم العصر

ومواكبة التطوّرات الحضاريّة المختلفة عبر تحصيل البصيرة، والتفكّر بالأمور، وتحليل الأحداث، وعدم الأخذ بالقشور والظواهر، كما يُروى عن الإمام الصادق عليه السلام: «العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس» [١]، وفي كتاب الكافي عن الامام الصادق عليه السلام قال: «في حكم آل داود على العاقل أن يكون عارفًا بزمانه مقبلاً على شأنه حافظًا للسانه»[٢].

٢-التركيز على علوم القرآن والتفقّه في الدين.

وعن الصادق عليه السلام في رواية يبيّن فيها أهميّة العلم والتعلّم: «لستُ أُحبُّ أن أرى الشاب منكم إلاَّ غاديًا في حالين: إمَّا عالمًا أو متعلِّمًا، فإنْ لم يفعل فرَّط، فإنْ فرَّط ضيَّع، فإنْ ضيَّع أَثِم، وإنْ أثم سكن النار، والذي بعث محمدًا بالحق».[٣]

أمّا على مستوى الآيات القرآنيّة فالقرآن الكريم ركّز أيمّا تركيز على العلم وأهميّته ودوره في صناعة الإنسان بل جعله معيارًا للتفاضل بين البشر﴿**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [الزمر: ٩]

---

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج١، ص٢٧.

٢ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٢، ص١١٦.

٣ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج١، ص١٧٠.

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]

لا بدّ في التركيز في هذا الجانب على ما ركّزت عليه الرويات في مسألة العلم فبعد أن بيّنت أهميّة تحصيل العلوم المواكبة للعصر والثقافة العامّة ركّزت الروايات كذلك على نوعين من العلم والمعرفة لا بدّ للشاب من الإحاطة بهما لما لهما من دورٍ أساس في بناء الشخصيّة الإيمانيّة، وهما التعرّف على القرآن وعلومه مدارسةً وحفظًا وتفسيراً وتلاوةً، والتفقّه في دين الله وتحصيل علوم الشريعة المختلفة مضافًا إلى علمي الأخلاق والعقيدة.

فعن الإمام علي عليه السلام -في كتابه لوَلَده الحَسَن عليه السلام-: "وأن أبتَدِئَكَ بتَعليمِ كتابِ اللَّه عز وجل وتَأويلِه وَشرائعِ الإسلامِ وَأحكامِه"[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «مَن قَرَأَ القُرآنَ وَهُوَ شابٌّ مُؤمِنٌ اختَلَطَ القُرآنُ بلَحمِه ودَمِه وَجَعَلَهُ اللَّهُ عز وجل مَعَ السَّفَرَةِ الكِرامِ البَرَرَةِ، وكانَ القُرآنُ حَجيزاً عَنهُ يَومَ القيامَةِ»[٢].

أمَّا ما ورد في مسألة التفقّه في الدين وأهميّته للعنصر الشابّ:

عن رسول اللَّه صلى الله عليه وآله: «لِكُلِّ شَيءٍ عِمادٌ، وعِمادُ هذَا الدّينِ الفِقهُ.»[٣]

---

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٧٤، ص٢١٩.

٢ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٦٠٣، ح٤.

٣ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ١، ص ٢١٦، ح٣١.

عن الإمام الباقر والإمام الصادق (عليهما السلام): لَوأُتيتُ بِشابٍّ مِن شَبابِ الشّيعَةِ لا يَتَفَقَّهُ فِي الدّينِ لأَدَّبتُهُ"[١].

٣- العلم والدين وطرح الأسئلة والجانب العقلي والعلمي.

لا شكّ في أنّ العلم يُعَدّ من الأركان المُهِمَّة التي ترتكز عليها الأمم والشعوب في تحقيق التقدّم الحضاري وفي إشباع الحاجات الفرديّة والمجتمعيّة؛ حيث يسهم إذا أُحسِن الاستفادة منه في تجاوز كثير ممّا يعاني منه البشر في عصرنا الحاضر من التخلّف، والبطالة، والفقر، والظلم، والجهل، وغيرها من المشاكل والآفات عبر النهوض المجتمعات وازدهار الحياة الإنسانية، وكذلك قد يؤدّي إلى العكس من ذلك، ويرجع المجتمعات إلى الوراء، ويؤدّي إلى التقهقر على مختلف المستويات إذا لم يُضبط استخدامه واستخدمته الدول والأفراد لتحقيق مآربهم الشخصيّة والتوسعيّة والاستعماريّة؛ فملايين البشر قد دفعوا حياتهم وما زالوا يدفعون بسبب سباقات التسلّح والأسلحة الفتّاكة والفيروسات المصنّعة في المختبرات، ولسنا ببعيدين عمّا حصل في غزّة ولبنان من إبادات جماعيّة ووحشيّة.

---

١ - أحمد بن محمد بن خالد البرقي: المحاسن، ج١، ص٣٥٧، ح ٧٦٠.

أمّا الدين فهو أهمّ المرتكزات التي يرتكز عليها الإنسان في البناء العلمي والنفسي والعقدي والفكري سواء على المستوى الفردي أم المستوى الجماعي، فمن دون الدين ومنظوماته المختلفة يحصل الفراغ ويختلّ النظام الإنساني العامّ، فكلّ فردٍ يسعى لقضاء شهواته وتحقيق طموحاته على حساب الآخرين، ومن دون الدين يسيطر الفراغ الفكري والعقدي على العقول، ويصبح عقل الشاب مسرحًا للأفكار المتضاربة التي تأتيه من كلّ حدبٍ وصوبٍ، خصوصًا في عصر العولمة، فيتشتّت ذهنه ما بين موجات الإلحاد النفسي والعلمي، وموجات الشكّ واللا أدريّة والحداثة وما بعدها والعلمويّة وغيرها، فيقف حائرًا أمام هذا الزخم من الأفكار باعتباره غير محصّن فكريًّا ونفسيًّا، ولا يمتلك السلاح المنظومي لمواجهتها، وكذلك ينتشر الانحراف وسوء الخلق في المجتمعات، فالدين هو الذي يعطي المعنى لحياة الإنسان، ومن دون البُعد المعنوي في وجوده يصبح آلةً تأكل وتشرب وتبيع وتشتري، فالدين هو حياةٌ في أفق المعنى.

من هنا، أصبحت العلاقة بين العلم والدين أحد أهمّ الإشكاليّات المطروحة مؤخّرًا، خصوصًا مع التطوّر الهائل في مجال العلوم التجريبية والتقنية، ما أدّى إلى اغترار بعضهم بهذا التطوّر والتقدّم، وخصوصًا في الأوساط الغربيّة، بحيث كثرت الأصوات التي تنادي بجعل العلم محلّ الدين والتشريع الإلهي، فأصبح منذ ذلك الوقت أحد أهمّ المشاغل

الفكريّة تصوير العلاقة بين العلم والدين وكيفية معالجة التعارض بينهما إن وجد، وقد برزت أربعة آراء أساس في هذا المجال:

أ. التعارض بين العلم والدين أيّ التنافي بينهما على وجه التناقض والتضاد لاختلافهما في المصدر والمنهج، فالأوّل يعتمد على النصّ بالدرجة الأولى والثاني على التجربة.

ب. التمايز بين العلم والدين فكلٌّ واحد من العلم والدين يتعلق بنطاق مستقل على حدة، من دون أن يتدخل أحدهما في شأن الآخر.

ج. التداخل بين العلم والدين؛ فالدين يتضمن القضايا العلمية في داخله، فالقضايا العلمية داخلة في نطاق الدين، وتعد من جملة القضايا الدينية، وعليه يكون الدين أعمّ وأشمل من العلم.

د. التعاضد بين العلم والدين أو التكامل بينهما: تركز هذه النظريّة على التكامل بين العلم والدين في كشف حقائق الكون عبر مساهمة كلٌّ منهما في تحقيق رؤية كونية منسجمة للعالم.

من هنا، على الشاب المنتظر أن يعي ويعطي لكل العلم والدين أهميّته ويسعى إلى أن لا يطغى أحدهما على الآخر، فبعض الشباب نتيجة التربية الخاطئة المنتشرة في كثيرٍ من بيوتاتنا -حتّى المتديّن

منها- تركّز على أهميّة التحصيل العلمي والاختصاص الأكاديمي، وتغفِل جانب التربية الدينيّة والعلوم الإسلاميّة، فالمهمّ أن يتعلّم الشاب ويصل إلى أعلى المراتب والمراكز في المستقبل، ويصبح قادرًا على جني الأموال في المستقبل، أمّا الدين والتديّن والسلوك الخُلُقيّ فأمرٌ هامشيّ إذا كان فبه ونعمت وإلّا فلا. في مقابل ذلك نرى بعض الشباب وخصوصًا المتخصّصين في مجال العلوم الدينيّة والشرعيّة أو طلّاب المعاهد الدينيّة يركّزون فقط على العلوم الشرعيّة، بل بعضهم يجعل همّه فقط في الفقه والأصول ولا يعير أهميّة للشؤون العلميّة الأخرى سواء الفكريّة والفلسفيّة والحضاريّة والاستشراقيّة والاستغرابيّة والسياسيّة، أم الاكتشافات التقنيّة والتكنولوجيّة.

إنّ كلتا النظرتين أحاديّة والأصح الجمع بينهما والتكامل والتعاضد، فالعلم والدين بما يستتبعه من الإيمان والاهتداء توأمان كما تشير الآيات القرآنيّة والروايات الشريفة ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَ يَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلى صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [الحج: ٤٥]، وفي الروايات:

- عن الإمام علي عليه السلام: «الإيمانُ وَالعِلمُ تَوأَمانِ ورَفيقانِ لا يَفترِقان.»[١]
- وعنه عليه السلام: «أصلُ الإيمانِ العِلمُ.»[٢] وفي روايةٍ أخرى: «ثمَرَةُ العِلمِ مَعرِفَةُ اللَّه»[٣].

إنّ هاتين الروايتين فيهما إشارةٌ لطيفةٌ إلى العلاقة الوطيدة بين العلم والإيمان الديني، فالعلم أصلٌ ومصدرٌ للإيمان، وفي الوقت نفسه معرفة الله، وهي أسمى المعارف، وهي ثمرة ونتيجة للعلم.

بل قد يقال إنّ الأصحّ هو في توصيف العلاقة بين العلم والدين أن يقال بنظرية (العلم الديني) بأن يبحث الباحث في القضايا العلمية في إطار توحيدي إلهي، ويقوم بتوظيف العلم واستخدامه في الاتّجاه الصحيح والمطلوب، أيّ في النطاق الموحّد والمنسجم ذي الغاية المتعالية والمقدّسة، وهي التقرب إلى الله -تعالى- وتحقيق السعادة الحقيقية[٤]، وكذلك يمكن القول بنظريّة الدين العلمي، بأن يجري تسخير كلّ الطاقات العلميّة في البحث الديني وآخرها الذكاء الاصطناعي، وأن يُستفاد منها في خدمة الدين والوطن والقيم الإنسانيّة

---

١ - عبد الواحد التميمي: غرر الحكم ودرر الكلم، ح ١٧٨٥.
٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٩٣، ص٥٧.
٣ - عبد الواحد التميمي: غرر الحكم، ح ٤٥٨٦.
٤ - راجع: مصطفى عزيزي: العلم والدين.

الأصيلة، كالدفاع عن المستضعفين ومقاومة المستعمرين، ويمكن أن يكون ما حصل في الحرب الأخيرة على لبنان كن أهمّ الدروس والعبر في هذا المجال؛ حيث لا بدّ من تسخير كلّ الطاقات والتكنولوجيا التي استخدمها الأعداء في محاولة لتحقيق التوازن والردع في المستقبل، عبر الاستفادة من الطاقات الشابّة وتوجيه مساراتها واهتماماتها في هذا المجال الحيوي.

● المبحث الثالث: اتّخاذ القدوة أو المثل الأعلى

الأسوة هي القدوة، والتأسّي هو الاقتداء وهو أمر فطريٌّ يميل إليه الإنسان ويبحث عنه فكلٌّ منّا يشعر بالحاجة إلى أن يكون أمامه نموذج حيّ يقتدي به مفهوميًّا ونظريًّا، وكذلك من الناحية العمليّة واتّخاذ المواقف وتبنّي القرارات، والدليل على فطريّة هذا المبدأ هو السعي الحثيث من قِبل الطفل الصغير إلى تقليد أبيه أو أخيه الأكبر من السنوات الأولى في عمره ومع بداية تشكّل وعيه، وهذه الأسوة قد تكون أسوة حسنة وقد تكون أسوة سيئة، فالإنسان وإن كان يطلب التأسّي بالشيء الحسن بحسب نظره ورؤيته، لكنّه قد يضلّ الطريق ويشتبه عليه الأمر، فيتوهّم ما هو سيّئ أنّه حسن، وما هو شرّ أنّه خير، فتكون الأسوة في الواقع أسوة سيئة وليست أسوة حسنة.

إنّ التأسّي كما أنّه من المبادئ الفطريّة، كذلك هو من المبادئ التأسيسيّة في القرآن الكريم؛ حيث هناك حثٌّ كبيرٌ في القرآن على التأسّي بالأنبياء العظام والأولياء والمصلحين، وما قاموا به في سبيل إصلاح مجتمعاتهم والدعوة إلى التوحيد واالقيم السامية، يقول الله تعالى في محكم كتابه: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٢١]

﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ الْعَداوَةُ وَ الْبَغْضاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَما أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنا وَإِلَيْكَ أَنَبْنا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾ [الممتحنة: ٤-٥]، فإبراهيم هو رائد الدعوة التوحيديّة ومؤسّسها، وهو الذي اجتاز المقامات والمراتب والابتلاءات والكلمات فحاز مقام النبوّة والرسالة والإمامة ﴿**إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ [البقرة: ١٢٤]، فمن تحطيم الأصنام إلى امتحان الإلقاء بالنار إلى الابتلاء الأكبر أي الأمر بذبح الولد وصولاً إلى ترك الذريّة بوادٍ غير ذي زرع رحلة عشق توحيديّة أوصلته إلى أن يكون خليلاً للرحمن بل أن يكون أمّةً في رجلٍ ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا**

﴿لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢٢].

فيا أيّها الشاب المؤمن عليك بالقدوة الابراهيميّة التي تحوي في مسيرتها هذه الفضائل والنجاحات كلّها في أصعب الظروف والابتلاءات. قد جسّد رسول الله ﷺ القرآن الكريم عمليًّا في عمله وسلوكه حتّى أنّك إذا أردت أن ترى القرآن الكريم في قيمه ومفاهيمه وأخلاقه متجسّدًا ومتحرّكًا أمامك تنظر إليه بعينيك، فانظر إلى شخص النبي ﷺ في سلوكه وحركاته وسكناته كلّها؛ فهو الذي لا ينطق عن الهوى والذي أُمرنا بأن نفعل كلَّ ما يأمرنا به وننتهي عن كلِّ ما نهى عنه، وهو الذي يقول في حقّه أمير المؤمنين عليه السلام في وصف قربه من رسول الله ﷺ: «وكنت أتبعه اتّباع الفصيل أثر أمه يرفع لي كلّ يوم من أخلاقه علمًا ويأمرني بالاقتداء به»[1].

إنّ التأسّي فضلاً عن كونه أمرًا فطريًّا مرتكزًا في أعماق النفس الإنسانيَّة، ففيه بالنسبة للشباب المسلم فوائد كبيرة وعظيمة تساهم في الوصول إلى الكمال المنشود للنفس، وأهمّ هذه المساهمات:

١. إنّ البحث والتمحيص والمرور بمرحلة الشكّ أمرٌ طبيعيّ قد يمرّ فيه أيُّ شابَ من الشباب وخاصّةً في الأمور العقدية، وهو قد يسهم في الوصول إلى يقينٍ أفضل إذا كان من الشكّ

١ - ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج١٣، ص١٩٧.

المراد منه الوصول إلى اليقين وليس الشكّ لأجل الشكّ، لكنّ اتّخاذ الأسوة قد يوفّر كثيراً من هذا الشكّ الذي لا يعلم الشاب إن كان سيوصله إلى برّ الأمان، فتُسهّل فرص الوصول إلى المبتغى من التهذيب والتكامل؛ لأنّها تختزل من الأوّل الخيارات في خيار واحد متعيّن لا ثاني له وهو خيار الأسوة العملية الحسنة.

٢. تقوّي الأسوة مقتضى الصلاح في الأفراد، فإنّ وجود الأسوة العمليَّة المرئيَّة يقوّي الإذعان بإمكان تجسُّد القيم والأفكار النظرية في شخصيّاتٍ واقعيّة؛ إذ كثيرٌ من الشباب قد لا يؤمن بكثيرٍ من المعتقدات والأفكار والقيم بدعوى أنَّها أمورٌ نظريّة، وأنّ التنظير سهلٌ ولكن التطبيق متعسّر أو متعذّر، ولكن حينما يجد كلّ هذه المعاني قد تجسّدت فعلاً في شخصيّات إسلاميّة بارزة ضحّت بكلّ وجودها في سبيل الله، فإنّ سبيل الإيمان والاقتناع سيكون أسهل بكثير.

وهنا يجب على الشاب المسلم توخّي الحذر؛ إذ إنّ أعداء الإسلام قد التفتوا إلى أهميّة الأسوة ومحوريّتها عند المسلمين، لذلك قد عمدوا إلى تشويه صورة من نتأسّى بهم سواء عبر الدراسات الاستشراقيّة التي شوّهت صورة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أم أئمّة أهل البيت عليهم السلام أو نشر الرسوم المسيئة، عنهم فعمدوا إلى استبدال الأسوة الحسنة بالأسوة

السيّئة، وابتكروا أشياء توافق الأهواء وروّجوا لها على أنّها نماذج الكمال والجمال، وبذلوا قصارى الجهد ليُقنعوا أمّتنا بذلك من خلال أساليب الدعاية المختلفة عبر التركيز على بثّها خصوصًا بين الشباب الّذين يمثّلون عصب الأمّة وقوّتها وطاقتها، وإظهاره بمظاهر المثل العليا، بعناوين متعدِّدة كالجمال والأناقة، والتجدُّد باتّباع الموديلات الّتي لا تقف عند حدّ، والبطولات الوهمية، ويقيمون المسابقات على مدار أيّام السنة بعناوين مختلفة رياضية وغيرها، فيُصبح البطل هو من يُسدِّد الكرة لتدخل في المرمى لا من يدافع عن كرامته وشرفه، وعزّة أمّته، وقيمها، وذلك لإلهاء شعوبنا عن القضايا الكبرى والوصول بذلك إلى استعبادهم بعد استنزاف مقدّراتهم الّتي مَنَّ الله بها عليهم.

من هنا، على الشباب التنبّه إلى واجبهم الشرعيّ لمخاطر هذه المخطّطات عبر عدم التأسّي بالنماذج الغربيّة المقدّمة والمروّج لها إعلانيًّا بشكلٍ كبير، سواء على صعيد التأسّي بالمناسبات والأعياد أم العادات الاجتماعية أم الرياضيين والفنّانين والممثّلين، فلا مانع من ممارسة الشباب للرياضة بل هي ممّا حثّ عليه الإسلام، وكذلك مشاهدة المباريات، ولكن لا أن يصبح الرياضي الفلان أو الممثّل مثلاً أعلى يقلّده الشباب في لباسه وتسريحة شعره وكلّ ما يمتّ له بصلة.

● المبحث الرابع: أهمّ الخصال الخُلُقيَّة والعمليّة

إنّ اتّخاذ الأسوة والقدوة يساعد الشابّ على التحلّي بعدّة صفات ومزايا خُلُقيَّة وعمليّة تسهم في بناء شخصيّته الإيمانيّة، وأهمّها:

١-العزم والسعي وعلوّ الهمّة:

حيث يمدح الكتاب الكريم والروايات الشريفة هذه الخصلة ويبيّن أهميّة توفّرها في الفرد المؤمن: ﴿**وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى**﴾ [النجم: ٣٩]، وفي الرواية الشريفة: «مَن بَذَلَ جُهدَ طاقَتِه بَلَغَ كُنهَ إرادَتِه.»[١]

٢-الاستقامة والتوكّل على الله:

إنّ من أهمّ العوامل المؤثّرة في تحصيل الثبات والوقار عند الهزاهز في الشخصيّة المؤمنة هي الاستقامة والتوكّل على الله.

﴿**اسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [هود: ١١٢]

﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن**

---

١ - عبد الواحد التميمي: غرر الحكم ودرر الكلم، ح ٨٧٨٥.

يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢-٣].

٣-خدمة الناس وقضاء حوائج الإخوان:

إنّ من أجمل المشاعر التي قد يشعر بها الإنسام هو أن يقوم بخدمة أحد الأشخاص وأن يقضي له حاجته خصوصًا إذا كانت ملحّة، وهذا ما ينبغي أن يسعى إليه الشاب المؤمن خصوصًا مع كمون في مقتبل عمره وكامل همّته ولياقته، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «المُؤمِنونَ خَدَمٌ بَعضُهُم لِبَعضٍ. قُلتُ: وكَيفَ يَكونونَ خَدَمًا بَعضُهُم لِبَعضٍ؟

قالَ: يُفيدُ بَعضُهُم بَعضًا»[١].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «مَن قضى لأخيه المؤمن حاجة كان كمن عبد الله دهره»[٢].

٤ - العفّة والأمانة.

هاتان الخصلتان من أهمّ الخصال التي تساهم في تحصين شخصيّة الشابّ المؤمن، عن الإمام علي عليه السلام: "إذا أرادَ اللَّهُ بِعَبدٍ خَيرًا أعَفَّ

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج ٢، ص ١٦٧، ح٩.

٢ - محمد بن علي الصدوق: الآمالي، ص٤٨١، ح٢٠.

بَطنَهُ وفَرجَهُ"[١] وفي رواية أخرى: «مَا المُجاهدُ الشَّهيدُ في سَبيلِ اللَّه بِأَعظَمَ أجرًا مِمَّن قَدَرَ فَعَفَّ. لَكادَ العَفيفُ أن يَكونَ مَلَكًا مِنَ المَلائكَة»[٢].

ومن أهمّ موارد العفّة والتي محلّ ابتلاء الكثير من الشباب هي عفّة النظر، فالسلاح الأوّل الذي لا بدّ أن يتمسّك به ايّ شاب حتّى لا يقع في المعاصي بسبب فورات الشهوة هو سلاح عفّة النظر، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «النَّظرَةُ سَهمٌ مِن سِهامِ إبليسَ مَسمومٌ، مَن تَرَكَها للَّه عزَّ وجلَّ لا لِغَيرِه أعقَبَهُ اللَّهُ إيمانًا يَجِدُ طَعمَهُ»[٣].

أمّا بالنسبة إلى الأمانة فهي الخصلة التي تجعل الشابّ موضع ثقة اجتماعيّة بحيث يمكن أن يعتمد عليه أي فرد في أداء حق أو واجب فردي أو اجتماعي، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «انظُر ما بَلَغَ به عَليٌّ عليه السلام عِندَ رَسولِ اللَّه صلى الله عليه وآله فَالزَمهُ، فَإنَّ عَليًّا عليه السلام إنَّما بَلَغَ ما بَلَغَ بِهِ عِندَ رَسولِ اللَّه صلى الله عليه وآله بِصِدقِ الحَديثِ، وأداءِ الأَمانَة»[٤].

---

١ - عبد الواحد التميمي: غرر الحكم، ح ٤١١٤.

٢ - ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج٢٠، ص٢٣٣.

٣ - محمد بن علي الصدوق: كتاب من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ١٨، ح ٤٩٦٩.

٤ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج ٢، ص ١٠٤، ح ٥.

٥- الحريّة:

إنّ مفهوم الحريّة وإن كان من المفاهيم المطّاطة التي قد يتستعملها بعضهم لتبرير أيّ فعلٍ يقوم به حتّى ولو كان مخالفًا للأعراف وللدين والشريعة، لكن لا شكّ بأنّه يبقى من ميّزات الشخصيّة الإيمانيّة أن تتمتّع بجانب منها وخصوصًا في المجال الفكري، بحيث لا يكون الشابّ تابعًا لأحد في بناء منظومته الفكريّة إلّا لمن يمكن اتّباعه، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «خَمسُ خِصالٍ مَن لَم تَكُن فيهِ خَصلَةٌ منها فَلَيسَ فيهِ كَثيرُ مُستَمتعٍ، أوَّلُهَا: الوَفاءُ، وَالثّانيَةُ: التَّدبيرُ، وَالثّالثَةُ: الحَياءُ، وَالرّابعَةُ: حُسنُ الخُلُقِ، وَالخامِسَةُ وهِيَ تَجمَعُ هذِهِ الخِصالَ الحُرِّيَّةُ»[1].

٦- تنظيم وإدارة الوقت.

إنّ أهمّ عوامل النجاح في الحياة وزيادة الإنتاجيّة يكمن في تنظيم الوقت وإدارته بشكلٍ سليم وحسن استغلاله، فالشابّ المنظّم لوقته يستطيع أن يكون فعّالًا في ميادين مختلفة، دون أن يؤثّر خوضه في ميدانٍ معيّن على الميادين الأخرى، ومن أهمّ الفوائد لهذا التنظيم:

أ. زيادة الدافعيّة: فحسن إدارة الوقت يمنح الشباب الحماس والدافع لما يريدون تحقيقه في المستقبل، وعليه يقومون

---

١ - محمد بن علي الصدوق: الخصال، ص ٢٨٤، ح ٣٣.

بإدارة الوقت وفقًا لهذه الغاية والهدف المنظور والذي يسعون إلى تحقيقه.

ب. زيادة الإنتاجيّة والشعور بالرضا عن الذات من خلال الوصول إلى الأهداف المرسومة باستمرار وبانسيابيّة وبساطة.

ج. المساهمة في تحقيق الطموحات المختلفة والتمكّن من اكتساب المهارات والكفاءات المتعدّدة في مختلف المجالات، مضافًا إلى إمكانيّة تعديل الخطط والأعمال التي لا تحقّق النتائج المرجوّة ولا تصل إلى الغايات، فيمكن للمنظّم لوقته كشف الأخطاء ما يفتح له الأفق الواسع. ويكفي في بيان أهميّة النظم ما ورد في الوصيّة الخالدة من أمير المؤمنين عليه السلام لولديه الإمام الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام وهو على فراش الشهادة -أنصح كلّ الشباب بقراءتها والتدبّر فيها والتمعّن في مضامينها فهي دستورٌ خُلُقيّ وعمليّ وحياتيّ بكلّ ما للكلمة من معنى-: "أوصيكُما وجَميعَ وُلدي وأهلي ومَن بَلَغَهُ كِتابي بِتَقوَى اللَّهِ ونَظمِ أمرِكُم"[1].

د. بُعد النظر ومشورة ذوي الرأي.

---

١ - ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج١٧، ص٥.

على الشاب أن يكون بعيد النظر في مآلات الأمور ومسارها، ولا يكتفي بالنظرة السطحيّة والقشريّة للأمور، وذلك عبر التفكير مليًّا وبهدوء والنظر في الإيجابيّات والسلبيّات لكلِّ أمرٍ يريد أن يخوض فيه، وكذلك تبرز أهميّة الاستشارة ممّن هم أهل لها، كما ورد عن الإمام علي عليه السلام: «التَّدبيرُ قَبلَ العَمَلِ يُؤمِنُكَ مِنَ النَّدَم»[1].

وورد عن الإمام الكاظم عليه السلام قوله: «مَنِ استَشارَ لَم يَعدَم عِندَ الصَّوابِ مادِحًا، وعِندَ الخَطَأَ عاذِرًا»[2].

● المبحث الخامس: العلاقة بالله والاعتدال في العبادة

أوّلًا: الخطّة الكفيلة ببناء العلاقة بالله تعالى

إنَّ من أهمّ عوامل تحصيل الاستقامة السلوكيّة والطمأنينة النفسيّة لدى الشاب المسلم هي تقوية علاقته بالله تعالى وممارسته للعبادة بحضور قلبٍ وإخلاصٍ لا يشوبه الرياء؛ فللعبادة الأثر الكبير والبنّاء في بناء الشباب جسمانيًا ونفسيًا وخُلُقيًّا واجتماعيًا، فهي تدريب عملي على الإخلاص والإتقان بحيث يشعر الشاب شعورًا دائمًا بوجود الله وقربه

---

١ - محمد بن علي الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٥٤، ح ٢٠٤.

٢ - المحدّث النوري: مستدرك الوسائل، ج٨، ص٣٤٢.

منه ويبقى ضميره ووجدانه في حالةٍ من اليقظة ولا يقع في الغفلة التي هي منشأ كثير من المعاصي؛ فللعبادة كثير من الآثار الوقائية المتمثّلة في إنقاذ المتعبِّد من التعقيد واليأس والشعور بالذنب وتفاهة الذات؛ لأنَّ نسج العلاقة المتينة بالله -تعالى- يشعره بقربه من مالك الوجود، وحبِّه له وعطفه عليه كما يشعره بقيمته الإنسانية وعلو قدره.

إنّ أهمّ نقطة يجب أن تميّز علاقة الشاب بالله تعالى هي أن تقوم على أساس الحبّ وليس الخوف أو الطمع فقط فيتّقد الحب الإلهي في قلب الشاب ويكون الله حاضرًا فيها، وإذا حضر الله في القلب خرج الشيطان مذمومًا مدحورًا.

عبر الإحساس بأهميّة هذه العلاقة وضرورة حضور الله في حياتنا، وهذا الإحساس رغم بداهته وفطريَّته، لكنَّه قد يغيب في غمرة الشباب وزهوه ولهوه، ما يؤدّي إلى أن تغيب معه كثير من الكمالات الروحيّة والمعنويّة. من هنا، ينبغي الحفاظ على هذا الاحساس الفطري بحضور الله والعمل على تنميته، فيجب على الشاب أن يستشعر دائمًا أنّه لا قيمة للدنيا وأعمالها وأموالها وجاهها إن خسرالآخرة، قال الله: ﴿**بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ [الأعلى: ١٦ – ١٧].

من هنا، على الشاب المبادرة إلى وضع خطّة عمليّة تؤمّن لنا سلامة العلاقة مع الله تعالى، عبر السير والبدء من الالتزام بالأحكام الشرعيّة

وعدم الانصياع والإصغاء للدعاوى التي تُطلق هنا وهناك بأنّ الإيمان في القلب كافٍ ولا داعي للجمود على الأحكام الشرعيّة والالتزام بها وعلى رأس ذلك العبادات الشرعية بأنواعها كافّة من الصلاة إلى الدُّعاء، والذِّكر إلى الصوم، فهذه الوسائل والطرق أعدّها الله -تعالى- لعباده ليتواصلوا من خلالها معه، والمصالح فيها هي للناس، وخصوصًا الشباب، فهي تفتح لهم أبواب القرب الإلهي ليعيشوا سموًّا روحيًّا، بحيث يصبح الشاب بعد أن تصبح العبادة ليس مجرّد عادة يعتادها بل ملكة متأصّلة في النفوس يأنس بها ويشتاق إليها، فقد ورد في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها وأحبّها بقلبه، وباشرها بجسده، وتفرّغ لها، فهو لا يُبالي على ما أصبح من الدنيا على عسرٍ أم على يسرٍ»[1].

إنّ نقاء روح الشباب وفطرته، مضافًا إلى حيويّته وحبّ الاطّلاع والبحث لديه تجعله أكثر تفاعلاً في علاقته مع الله تعالى، كما أنّ ما يعطي لعبادة الشاب قيمةً أكبر هو التزوع الآخر الموجود لدى الشاب الذي قد تغذّيه الوساوس الشيطانيّة والنفس الأمّارة بالسوء ورفاق السوء، وهو الميل إلى اللّهو واللّعب والراحة والانجذاب إلى المغريات والملذّات والشهوات، فهو بالتالي يحارب كلّ هذه النوازع المتوقّدة في

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٢، ص٨٣.

ذاته ليلتذَ بمناجاة الله والقرب منه وإنبات اشجار المحبّة له. من هنا، قد نفهم ما قد ورد في الأحاديث النبوية الشريفة من امتداح الشاب العابد وعبادته، فعن رسول الله ﷺ: «سبعة في ظلّ عرش الله عزّ وجل يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله عزّ وجلّ، ورجل تصدّق بيمينه فأخفاه عن شماله، ورجل ذكر الله -عزَّ وجلَّ- خاليًا ففاضت عيناه من خشية الله عزَّ وجلَّ، ورجل لقى أخاه المؤمن فقال: إنيّ لأُحِبُك في الله عزّ وجلّ، ورجل خرج من المسجد وفي نيَّته أن يرجع إليه، ورجل دعته امرأة ذات جمال إلى نفسها، فقال: إنيّ أخاف الله ربَّ العالمين»[1].

وهنا لا بدّ من الإلفات إلى أنّ العبادة لا تنحصر بالعبادات الشرعيّة والإتيان بالمستحبّات، بل باستطاعة الشاب أن يجعل كلّ أعماله عباديّة يأن يخلص النيّة ويستحضر دائمًا وجود الله وآداء التكليف الموكل إليه، فحتّى عمله وسعيه في سبيل تحصيل رزقه قد يجعله عملاً عباديًّا، يروي الفيض الكاشاني روايةً في كتاب المحجّة البيضاء تبيّن هذا المعنى: «كانَ رَسولُ اللَّه ﷺ و آله جالِسًا مَعَ أصحابِه ذاتَ يَوم فَنَظَرَ إلى شابٍّ ذي جَلَد وقُوَّة قَد بَكَرَ يَسعى فَقالوا: وَيحَ هَذا لَو كانَ شَبابُهُ وجَلَدُهُ في سَبيلِ اللَّه تَعالى؟

١ - محمد بن علي الصدوق: الخصال، ص٣٤٣.

فَقالَ ﷺ لا تَقولوا هذا، فَإِنَّهُ إن كانَ يَسعى عَلى نَفسه لِيَكُفَّها عَنِ المَسألَة ويُغنِيَها عَنِ النّاسِ فَهُوَ في سَبيلِ اللَّه، وَإن كانَ يَسعى عَلى أَبَوَينِ ضَعيفَينِ أو ذُرِّيَّة ضِعاف لِيُغنِيَهُم ويَكفِيَهُم فَهُوَ في سَبيلِ اللَّه، وإن كانَ يَسعى تَفاخُرًا وتَكاثُرًا فَهُوَ في سَبيلِ الشَّيطان»[1].

كما لا بدّ للشاب في مساره العبادي أن يحرص على أن يأخذه من المصادر المعتبرة إذا كان أهلاً لذلك أو من العلماء والأساتذة الثقاة وأن يحذر ممّن يمكن أن نسمّيهم لصوص الطريق أو أدعياء العرفان الذين كثروا في هذه الأيّام، فهؤلاء وإن كانوا يستخدمون بعض الأساليب الجذّابة لجذب قلوب الشباب نحوهم لكنّهم كالذي يدسّ السمّ في العسل، كذلك ينبغي له الاعتدال في العبادة، فبعض الشباب يستغرق كلّ وقته في العبادات فهذا وإن كان له الأجر خصوصًا أنّه قد يفعل ذلك حبًّا لله ورغبةً في القرب منه لكنَّ التوازن وصرف الوقت في العبادات وفي تحصيل الثقافة والمعرفة وكذلك في تطوير الذات هو الأفضل للشاب خصوصًا بلحاظ ما نواجهه من تحديّات كثيرة في حياتنا المعاصرة.

ثانيًا: الارتباط بالله تعالى أرقى الميول الفطريّة.

قد يعتبر الشاب أن الأعمال العباديّة والإكثار منها هي السبيل الوحيد

---

١ - محمد بن المحسن الفيض الكاشاني: المحجّة البيضاء، ج٣، ص١٤٠.

للارتباط بالله تعالى، وهي على أهميّتها لكنّه ينبغي الإشارة إلى أنّ هذه الأعمال ليست إلّا عبارة عن محاكاة لميلٍ فطريٍّ موجودٍ في داخله للتجاذب الروحي والاتّصال الوجوديّ والإدراكيّ مع قوّةٍ أعلى منه وأكمل منه وأجمل منه، ومن تجلّيات هذا الميل شوق الإنسان للكمال والجمال والأشياء الجميلة، سواء أكانت عبارة عن اشخاصٍ أم أنماطٍ من الجمال المعنويّ كالتشبيهات والاستعارات، والشعر العذب والجميل، أم الكمالات الروحيّة والخُلُقيَّة الموجودة لدى بعض المتخلّقين بأخلاق الله من عباده الصالحين، لكنّ أعظم الميول الفطريّة وأجلاها وأكملها هو الميل الفطريّ اللا نهائيّ نحو الكمال المطلق والجمال المطلق، بل إنّ الإرتباط الواعي بالخالق تعالى هو الذي يحقّق للشاب أعلى درجات ميلٍ فطريٍّ آخر موجود في داخله، وهو طلب اللذّة والراحة والسعادة، والهرب من الألم والشقاء؛ فالإنسان يسعى دائمًا في حياته للحصول على لذائذ أكثر وأقوى وأكثر دوامًا، ويهرب بطبعه ويكره المصائب والمشاكل وكلّ ما يمكن أن يُسبّب له ألمًا ماديًّا أو معنويًّا، لكنّ اللذّة الحقيقيّة التي يطلبها الإنسان بالأصالة هي اللذّة التي يملكها الكمال الحقيقيّ، فمعرفة الكمال الحقيقيّ تستلزم معرفة اللذيذ الأصيل، وكذلك العكس حيث تتطلّب معرفة اللذيذ الأصيل معرفة الكمال الحقيقيّ. من هنا، على الشابّ أن يدرك أنّ الإشباع الكامل للاحتياجات الفطريّة الإنسانيّة لا يحصل إلّا في ظلّ الارتباط الكامل

الواعي بمبدأ الوجود. من هنا، نجد القرآن الكريم يؤكّد على أنّ الإنسان يعرف الله بفطرته، وأنّ الناس كلّهم في نشأة من وجودهم اعترفوا بربوبيّة الله تعالى: ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ**﴾ [الأعراف: ١٧٢].

ثمّ بعد أن اعترف الإنسان بالربوبيّة كان الميثاق الإلهي الذي يجب على كلّ إنسان أن يعمل على تأديته وهو ميثاق العبوديّة، بحيث يحصل تقويم مقدار وفاء الناس بعهدهم وميثاقهم الفطريّ وعبر السعي إلى تحقيق تكاملهم الاختياريّ بواسطة الطاعة والعبوديّة لله: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: ٥٦]، كما نلاحظ أنّ الآيات القرآنيّة دائمًا تقرن بين الإيمان والعبوديّة والعمل الصالح من جهة أخرى، ولا يكاد يذكر أحدهما إلا ملازمًا لصاحبه؛ لينتبه المسلم إلى أهمّيتهما معًا، فلا يهتم بأحدهما ويُهمل الآخر ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا**﴾ [مريم: ٩٦].

وليحصل هذا التقويم، فإنّ ثمّة ظروفًا مختلفة ليختار كلّ شاب في هذه الحياة سبيله بكلّ حرّيّة: ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾ [الملك: ٢] وفي النهاية لن يصل إلى السبيل الأقوم الآمن إلّا أولئك الذين يؤثرون محبّة الله وابتغاء مرضاته على كلِّ ما سواها.

﴿**وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ**﴾ [لقمان: ٢٢].

﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ**

وَفَضلٍ وَيَهدِيهِم إِلَيهِ صِرَٰطًا مُّستَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٥].

بعد أن يتأمّل الشابّ في هذه الوعود الرائعة والعطايا الجزيلة التي سينالها إذا التزم بالميثاق الإلهي وأدّى لله حقّ عبوديّته عبر الإيمان والعمل الصالح والتسليم المطلق لله تعالى، بحيث يكون مستمسكًا بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها. وعليه في الوجهة المقابلة والمقلب الآخر أن يتطلّع وينظر إلى ضدّ ونقيض هذه الأمور؛ فالضِدُّ يُظهِر حسنه الضدُّ عبر النظر إل الوعيد الإلهي الصادر بحقِّ أولئك الذين تعلّقت قلوبهم بزينة الحياة الدنيا، ورجحت محبّة الآخرين لديهم على محبّة الله، فسوف يُبتَلَون بعذاب أليم لا نهاية له، ويُحرمون من الوصال مع المحبوب الفطريّ **﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلحَيَوٰةِ ٱلدُّنيَا وَٱطمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُم عَن ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ أُوْلَٰٓئِكَ مَأوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكسِبُونَ﴾** [يونس: ٧ -٨].

كذلك لا بُدّ من الإشارة في المقام إلى نقطة مهمّة ورئيسة مُسهِمة وبشكلٍ فعّال وعملي في سلوك الشاب للسبيل العملي الصحيح، خصوصًا في علاقته بالله، بحيث يكون ضامنًا للوصول إلى النتيجة المطلوبة والمتوخّاة، وهي ما يسمّيه (الشيخ مصباح اليزدي) بمصطلح (تدبير الإرادة)[1]، إذ يعتبر الشيخ أنّ تحقيق المقدّمات اللازمة لاتّخاذ

١ - محمد تقي مصباح اليزدي: معرفة الذات لبنائها الجديد، ص١٠٠.

الإجراء القاطع وامتلاك الإرادة الجديّة لقطع سبيل العبادة والقيام بواجبات العبوديّة هو النسج الصحيح والدقيق للعلاقة بين ميزتين في كيان الإنسان، وهما (الإدراك) و(الحركة الإراديّة)، فإشباع الميول والاحتياجات الغريزية في الإنسان متوقّفٌ دائمًا على الإدراكات المتناسبة معها، كما تلعب الإدراكات الحسّيّة دورًا مهمًّا وجوهريًّا في تخيّلات الإنسان وأفكاره ليصل إلى نتيجةٍ مهمّةٍ في صدور الأفعال الإراديّة، وهي أنّ أفضل وسيلة لتدبير الميول والاحتياجات، وبالتالي التسلّط الأكثر على النفس والانتصار على أنماط الهوى النفسيّ والوساوس الشيطانيّة، هو السيطرة على الإدراكات وخصوصًا السيطرة على العين والسمع؛ فالشاب المؤمن والملتزم والمبتغي الوصول للكمال لا بدّ أن لا يقف موقف المتفرّج في عالم تزاحم الميول، فمتى ما تغلب ميل بمقتضى العوامل الطبيعيّة والاجتماعيّة سار خلفه، أو أنّ عليه أن يمتلك زمام الأمر ويكون له عبر نشاطه الفكريّ والإراديّ دور الموجّه المستفيد من القوى الإنسانية الخاصّة عبر تحريك الطاقات كلّها في المسير الصحيح.

النقطة الأخيرة التي ينبغي الإشارة إليها في هذا الجانب هي ما يمكن أن نسمّيه الاعتدال في العبادة أو رعاية أصل التدرّج، والاعتدال بمعنى عدم تحميل النفس ما لا طاقة لها على تحمّله من الأعمال والضغوطات على مختلف المستويات؛ إذ ذلك قد يؤدّي إلى انتفاء الغاية وتحقّق الأمر المعاكس، فتنفر النفس وتنجرّ إلى العصيان وتكثرالأضرار البدنيّة

والروحيّة، فعن رسول اللَّه ﷺ أنّه قال: «إنَّ هذَا الدّينَ مَتينٌ فَأَوغِلوا فيه بِرِفق، ولا تُكَرِّهوا عِبادَةَ اللَّه إلى عِبادِ اللَّه، فَتَكونوا كَالرّاكِبِ المُنبَتِّ الَّذي لاَ سَفَرًا قَطَعَ ولا ظَهرًا أبقى»[1].

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج ٢، ص٨٦، ح١.

الفصل الثالث:

الآفات والمشاكل العمليّة المُعيقة لبناء شخصيّة الشابّ

نتعرّض في هذا الفصل للآفات التي تعيق الشاب عن بناء نفسه؛ حيث نحاول أن نبيّن أهم الأمور اللهوية وغير اللهوية التي تسهم في غفلة الشاب عن الغاية التي لا بد ان يبذل طاقته لتحصيلها.

● المبحث الأوّل: الفراغ والوقت المهدور

إنّ من أخطر الآفات والمشاكل المستشرية في مجتمعاتنا العربيّة والإسلاميّة هي مشكلة البطالة والفراغ خصوصًا لدى جيل الشباب؛ ويمكن عدّ هذه الآفة من أكثر الآفات فتكًا بالجيل الشابّ، فبسببها تتولّد كثير من الانحرافات والمشكلات النفسيّة والمعنويّة الفرديّة والاجتماعيّة، فهو من الآلات التدميريّة؛ حيث يقوم بتدمير المواهب والكفاءات ويُبقيها مخفيّةً مجهولة وهو إهدارٌ مجحِفٌ بحقّ عدّة قِيَم عمليّة وعلميّة، كقيمة العمل واستفراغ الطاقات وعدم إهدارالوقت؛ ففي أحضان الفراغ تولد آلاف الرذائل؛ فإنَّ النفس لا تحصِّل الطمأنينة والسكينة إن لم تكن في حالة من العمل والإنتاج المستمرّ، وإن لم يملأ الإنسان نوازعه بالانشغال بالحقّ فسوف تنشغل بالباطل والشرور والمصائب، فالطبيعة بنفسها تكره الفراغ ولا تحبّذه، فإنَّ قانون الطبيعة يملأ النفس الفارغة بالعواطف والأحاسيس المزعِجة وغير السويّة، كالغيرة والقلق والخوف والحقد والحسد. من هنا، فمن أوجب الواجبات على أيِّ شابٍّ أن يملأ

وقته بالأمور المجدِية وينصرف إلى نفسه ويتعهَّدها بالتطوير والنبوغ بها، فهذا أحرى بإبعاد القلق والآفات النفسية والاجتماعية عنه، وكذلك عليه أن يقوم بتوجيه ذهنه وعقله نحو الانشغال بما هو مفيد، وعدم ترك نفسه في دوَّامة من الفراغ القاتل؛ فبطالة الغنيّ ذريعةٌ إلى الفسق والعصيان، وبطالة الفقير تضييعٌ للقدرات الهائلة المودَعة فيه وخلاف حكمة الخلق الإلهيّة، ﴿**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون * فتعالى الله الملك الحق**﴾ [المؤمنون: ١١٥- ١١٦]، بل إنّ الفراغ خطيرٌ ومفسِدٌ إلى درجةٍ يمكن القول إنّه يقتل أنبل ما في الإنسان، فهو يسهم في تضخيم كلّ شيءٍ لدى الإنسان، فهو يضخِّم كلّ المشاعر والأحاسيس لدى الإنسان، ويضخّم العاطفة والتعب والألم، بحيث يشكّل وبشكلٍ واضحٍ العدوّ الحقيقي للإنسان، وأكبر نقمة قد يواجهها المرء في حياته.

من هنا، إذا تأمّلنا في كميّة الأحاديث والروايات الناهية عن الفراغ والبطالة والحاثّة على العمل والاجتهاد فسنراها كثيرة جدًّا ومعبرّة. ويمكن تصنيفها إلى عدّة طوائف:

أوّلًا: الروايات التي تذمّ البطالة والبطّالين.

١. **عن رسول اللَّه** ﷺ: «إنَّ اللَّهَ يُبغِضُ الصَّحيحَ الفارِغَ، لا في شُغُلِ الدُّنيا ولا في شُغُلِ الآخِرَةِ»[١].

---

١ -ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج ١٧، ص ١٤٦.

٢. **الإمام الصادق** عليه السلام: «مَن كَسِلَ عَن طَهورِه وصَلاته فَلَيسَ فيه خَيرٌ لأمرِ آخرَته، ومَن كَسِلَ عَمّا يُصلِحُ بِه أمرَ مَعيشَته فَلَيسَ فيه خَيرٌ لأمرِ دُنياهُ»[١].

٣. **عن زرارة:** «إنَّ رَجُلاً أتى أبا عَبداللَّه عليه السلام، فَقالَ: إنيّ لا أحسنُ أن أعمَلَ عَمَلاً بيَدي ولا أحسنُ أن أتَّجرَ، وأنَا مُحارَفٌ مُحتاجٌ، فَقالَ: اعمَل فَاحمِل عَلى رَأسِكَ وَاستَغنِ عَنِ النّاسِ»[٢].

ثانيًا: الروايات التي تتحدّث عن خطر البطالة على الفرد والمجتمع وآثارها السلبيّة

١. الفراغ سبب للذنوب والمعاصي: قال الإمام علي عليه السلام: «مِن الفَراغِ تكونُ الصَّبوةُ».[٣] والمقصود بالصبوة هو الميل إلى اللهو والتصابي أو جهلة الفتوّة.

٢. الفراغ سببٌ للتخلّي عن الدين أو استغلاله لأجل جذب قلوب الناس لتحصيل المال الحرام فقد كانَ رَسولُ اللَّه صلى الله عليه وآله إذا نَظَرَ إلَى الرَّجُلِ فَأعجَبَهُ، قالَ: هَل لَهُ حِرفَةٌ؟ فَإن قالوا: لا. قالَ: سَقَطَ مِن عَيني. قيلَ: وكَيفَ ذلِكَ يا رَسولَ اللَّه، قالَ:

---

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج ٥، ص ٨٥، ح ٣.

٢ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج ٥، ص٧٦.

٣ - عبد الواحد التميمي: غرر الحكم، ح ٩٢٥١.

لأنَّ المؤمنَ إذا لَم يَكُن لَهُ حرفَةٌ يَعيشُ بدينه"[١]. فالمقصود من التعبير اللطيف والقويّ في آنٍ معًا الذي يستعمله الرسول ﷺ (يعيش بدينه) أنّ المؤمن الذي لا شغل له يجعله يستغني عن الحاجة إلى الناس سيؤدّي به ذلك إلى أن يستغلّ الدين في تحقيق المآرب الدنيويّة وتحصيل المال ولو على حساب هذا الدين.

٣. عن علي عليه السلام في الحكَم المَنسوبَة إلَيه: "القَلبُ الفارِغُ يَبحَثُ عَنِ السّوءِ، وَاليَدُ الفَارِغَةُ تُنازِعُ إلَى الإثمِ"[٢].

إنّ هذا الحديث يوضّح كيف يكون الفراغ سببًا للمشاكل النفسيّة والماديّة في آنٍ معًا فالفراغ يُتيح للشيطان فرصة لزرع الوساوس وتزيين الأعمال السيئة، فالشيطان يجد في القلب الفارغ بغيته فيزرع فيه ما يشاء من الذنوب والشهوات التي غالبًا ما تجد أرضيتها في أوقات الفراغ، بحيث تكثر الخيالات الجامحة، فقوّة الخيال تلعب دورًا كبيراً في جرّ الشابّ إلى الكثير من المعاصي، كما أنّ الفراغ يؤدّي إلى العقد النفسيّة والإحباط وصولاً إلى انعدام الهدفيّة من الحياة وبالتالي قد يصل الأمر ببعضهم إلى اليأس والقنوط من روح الله ورحمته وصولاً إلى التعزال الكامل عن

١ - محمد بن علي الصدوق: جامع الأخبار، ص ٣٩٠، ح ١٠٨٤.
٢ - ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج ٢٠، ص٣٠٣، ح٤٧٣.

المجتمع ما قد يؤدّي لدى بعضهم وللأسف إلى سلوك الطريق الأقسى في البعد عن الله تعالى وهو إنهاء الحياة أو الإنتحار، هذا فضلاً عن أنّ كثيراً من المشاكل الفكريّة العَقَديَّة التي قد تؤدّي في نهاية المطاف إلى الإلحاد النفسي أو الفكري، هذا فضلاً عمّا يمكن أن نسمّيه باستراتيجيّة الإلهاء، بحيث يسهل كثيراً على من يريد حرف الشباب عن الدين والأخلاق والقيم وقضايا الأمّة هذا الوقت من الفراغ، لكي تملأها بالبرامج السيّئة، والأمور التافهة والإباحيّة، وبكلّ ما يصدّ هن ذكر الله تعالى.

● المبحث الثاني: بَطانةُ السوء

للأصدقاء دور مهم في حياة الإنسان؛ فهم يُقدِّمون له الدعم العاطفي والاجتماعي، ويُعزِّزون مشاعر السعادة لديه، فالصديق والصاحب يلعب دورًا مهمًّا في نموّ صديقه وازدهار كمالاته ونموّها، وكذلك يلعب دورًا بارزًا في انحطاطه وتعاسته، وقد بلغ من تأثير الصاحب في حياة الإنسان أنه رُوِيَ أنَّ سُلَيمانَ عليه السلام قال: لا تَحكُموا عَلى رَجُلٍ بِشَيءٍ حَتّى تَنظُروا إلى مَن يُصاحِبُ؛ فَإنَّما يُعرَفُ الرَّجُلُ بِأَشكالِه وأقرانِه، ويُنسَبُ إلى أصحابِهِ وأخدانِه»[1]. فما أكثر الشَّباب الذين سعدوا ووصلوا إلى

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٨٨، ح ١٧.

الكمالات المعنويّة والتحقّق بالخصال الحميدة بسبب أصدقائهم، وفي المقابل ما أكثر الشَّباب الذين انحرفوا عن جادّة الحقّ وانجرفوا إلى تيارات ومستنقعات الرذيلة بسبب قرين السوءِ.

إنّ تصرّفات أصدقاء السوء يمكن أن تتّخذ مسارات مختلفة تتّسم أغلبها بالإضرار بالصديق الآخر وأذيَّته والتأثير فيه سلبيًّا عبر جرّه إلى الأمور الضارّة، ومن أشكالها التنمّر والسخرية، وصولاً إلى ممارسة بعض السلوكيّات التنافُسيَّة والعُدوانيَّة، مضافًا إلى السلوكيّات المُخِلَّة بالآداب، أو تلك التي تبلغ الدرجة الأقصى من الإجرام والعنف الجسدي والنفسي. من هنا، نجد الروايات الشريفة قد تحدّثت بالتفصيل عن معايير اختيار الأصدقاء وعن صفات أصدقاء السوء وسماتهم الذين ينبغي أن يتجنّبهم الشاب المسلم. وفي المقابل حثّت على اتّخاذ الأصدقاء الصالحين وجلساء الفضيلة، أو من تعبّر عنهم بإخوان الصدق وبيّنت صفاتهم ومعايير اختيارهم.

ولنبدأ بأصدقاء السوء وصفاتهم التي بيّنتها الروايات وحذَّرت من اتّخاذ من هم بهذه الصفات أصدقاء. ويمكن تصنيف الروايات الواردة في هذا المجال إلى قسمين:

أوّلًا: الروايات التي نهت عن اتّخاذ جليس السوء:

لما يسبّبه من أضرار ومشاكل لمن يتّخذه صديقًا، باعتبار أنّ جليس

السّوء هو أخطر الآفات التي تهدّد الشَّباب، لكونه مصدرًا لأنواع المفاسد والمعاصي الخُلُقيّة والعملية.

أما الصديق الصالح هو كالعطّار الذي ينفث في الأجواء الآثار الطيّبة والعطرة فهو حتّى إن لم يعطك العطور وأنواعها، لكنّه لا يؤذيك بل تصدر منه على الدوام الروائح الجميلة والمميّزة والطاقة الإيجابيّة، أمّا جليس السوء فعكسه تمامًا، فهو غالبًا ما يحرق من يحتكّ به ويؤذيه بشكلٍ مباشر، وإذا لم يؤذه كذلك فإنّ الطاقة السلبيّة والأثر السيّئ الذي ينتج منه لا بدّ أن يصيب بأثره الطرف الآخر.

ففي الكافي عن عليّ بن أسباط عنهم عليهم السلام: «في ما وَعَظَ اللَّهُ عز وجل بِهِ عيسى عليه السلام: يا عيسى، اعلَم أنَّ صاحِبَ السَّوءِ يُعدي، وقَرينَ السَّوءِ يُرْدي، وَاعلَم مَن تُقارِنُ، وَاختَر لِنَفسِكَ إخوانًا مِنَ الْمؤمنين»[1].

إنّ هذه الرواية تحذِّر من اتّخاذ صاحب السوء وقرينه تبيّن العلّة أو الحكمة في هذا النهي بأمرين أساسين، وهما أنّ صاحب السوء أحد أهمّ مساوئه أنّه يُعدي الطرف الآخر، أيّ ينقل له كلّ ما تحتويه نفسه، وما يحتويه سلوكه من مشاكل وأضرار، وإذا نقل لصاحبه هذه العدوى الخطيرة فإنّه يُرديه في المهاوي ويجرّه إلى ما يجعل حياته دون معنى.

---

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٨، ص١٣٤، ح١٠٣.

ثانيًا: الروايات التي تبيّن صفات أصدقاء السوء، وقد أبدعت الروايات الشريفة في بيان صفاتهم وخصالهم بحيث أوصلتها إلى ٢٧ خصلة وصفة بنبغي اجتنابها والاحتراس عنها، وسأقوم باستعراض أهمّ هذه الصفات والروايات التي أشارت إليها:

١- الأحمق الكذّاب

فقد جاء في الحديث عنه عليه السلام: «إياك وصحبة الأحمق الكذّاب، فإنه يريد نفعك فيضرّك، ويقرّب منك البعيد، ويبعّد منك القريب، إن ائتمنته خانك، وإن ائتمنك أهانك، وإن حدّثك كذّبك، وإن حدّثته كذّبك وأنت منه بمنزلة السراب الذي يحسبه الظمان ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئا»[1].

٢- صاحب الغاية الدنيوية

والمراد منه الصديق الذي يصحبك ليستفيد منك في بعض المصالح الدنيويّة المؤقّتة من مالٍ أو جاهٍ أو غير ذلك من الأطماع التي لا تجعل تلك الصحبة قائمة على أساس التقوى والصدق والإخلاص، فبمجرّد أن يقضي هذه الحاجة التي لديه يتخلّى عن تلك العلاقة ولا تعود الصداقة تعني له شيئًا. من هنا فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «احذر أن تواخي من أرادك

---

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٢، ص٦٤١.

لطمعٍ أو خوفٍ أو ميلٍ أو للأكل والشرب، واطلب مؤاخاة الأتقياء، ولو في ظلمات الأرض، وإن أفنيت عمرك في طلبهم»[١].

وفي روايةٍ أخرى: يَنبَغي لِمَن أرادَ صَلاحَ نَفسِهِ وإحرازَ دينِهِ أن يَجتَنِبَ مُخالَطَةَ أبناءِ الدُّنيا»[٢].

«انظُر إلى كُلِّ من لا يُفيدُكَ مَنفَعَةً في دينِكَ فَلا تَعتَدَّنَّ بِهِ، ولا تَرغَبَنَّ في صُحبَتِهِ»[٣].

٣- الفاجر

فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا تصحب الفاجر فيعلّمك من فجوره»[٤].

٤- البخيل

عن الإمام الصادق عليه السلام:«المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»[٥].

---

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٢٨٢.
٢ - عبد الواحد التميمي: غرر الحكم، ح١٠٩٥١.
٣ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٩١، ح ٥.
٤ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٧١، ص١٩١.
٥ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٧١، ص١٩٢، ح١٢.

٥- الفاسق

فقد ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال لولده الباقر عليه السلام: «وإيّاك ومصاحبة الفاسق فإنه بايعك بأكلة أو أقلّ من ذلك»[١].

٦- القاطع لرحمه

وذلك لما روي عنهم عليهم السلام: «وإيّاك ومصاحبة القاطع لرحمه فإني وجدته ملعونًا في كتاب اللَّه عزّ وجلّ في ثلاثة مواضع: قال اللَّه عزّ وجلّ: «فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم...».[٢]

٧- الشرّير

قال الإمام الجواد عليه السلام: «إيّاك ومصاحبة الشرّير فإنه كالسيف المسلول يحسن منظره ويقبح أثره»[٣].

٨- صاحب اللهو

عن الإمام علي عليه السلام: «إيّاك وصحبة من ألهاك وأغراك فإنه يخذلك ويوبقك»[٤].

---

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٧١، ص١٩٦، ح٢٩.
٢ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٢، ص٦٤١.
٣ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٧١، ص١٩٧، ح٣٤.
٤ - الليثي الواسطي: عيون الحكم والمواعظ، ص٩٨.

٩- الجبان

عن الإمام الباقر عليه السلام: «لا تصادق ولا تواخِ أربعة: الأحمق والبخيل والجبان والكذاب...» ثمّ يُكمِل الإمام عليه السلام: «وأما الجبان فإنه يهرب عنك وعن والديه...»[١].

١٠- رهين المداراة

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ليس لك بأخٍ من احتجت إلى مداراته»[٢].

١١- النمّام والخائن والظلوم.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «احذر من الناس ثلاثة: الخائن والظلوم والنمّام لأن من خان لك خانك، ومن ظلم لك سيظلمك، ومن نمَّ إليك سينمُّ عليك»[٣].

١٢- كثير الارتياب وسريع الانقلاب:

في الحديث «شر الأتراب كثير الارتياب».[٤]

---

١ - محمد بن علي الصدوق: مصادقة الأخوان، ص٨٠، ح٣.
٢ - الليثي الواسطي: عيون الحكم والمواعظ، ص٤١١.
٣ - ابن شعبة الحراني: تحف العقول، ص٣١٦.
٤ - الليثي الواسطي: عيون الحكم والمواعظ، ص١٩٤.

وفي حديثٍ آخر: «شر الأصحاب السريع الانقلاب».[١]

١٣- المثبّط عن الخير

عن الإمام علي عليه السلام: «شر أخوانك من تثبّط عن الخير وثبّطك معه»[٢].

١٤- المداهن ومزيّن المعصية

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: « شر إخوانك من داهنك في نفسك وساترك عيبك»[٣]. وفي روايةٍ أخرى: «سئل أمير المؤمنين عليه السلام: أي صاحب شر؟ قال: "المزيّن لك معصية اللّه".[٤]

١٥- الخاذل

فقد ورد في الحديث: «شر الأخوان الخاذل»[٥]. وفي روايةٍ أخرى يمكن أن نعُدّها بمثابة الرواية التفسيريّة لهذه الرواية حيث تبيّن مفهوم الخاذل وهي: «شَرُّ الإخوان المُواصِل عند الرخاء والمُفاصِل

---

١ - الليثي الواسطي: عيون الحكم والمواعظ، ص٢٩٣.
٢ - الليثي الواسطي: عيون الحكم والمواعظ، ص٢٩٤.
٣ - الليثي الواسطي: عيون الحكم والمواعظ، ص٢٩٤
٤ - محمد بن علي الصدوق: الآمالي، ص.٤٧٢
٥ - الليثي الواسطي: عيون الحكم والمواعظ، ص٢٩٤.

عند البلاء»[١].

إنّ المتأمّل في هذا الكمّ الهائل من الروايات التي لم تترك صفةً أو خصلةً سيّئةً في أصدقاء السوء إلّا وأفردتها بالتصنيف والبحث يدرك جيّدًا وبوضح حساسيّة هذا الموضوع وأهميّته وخطورته في آنٍ معًا؛ باعتبار أنّ الصداقة لها دورٌ كبير في مرحلة الشباب؛ حيث يحتكّ الشابّ ويتأثّر بأصدقائه أكثر بكثير ممّا يتأثّر بأبيه وأمّه وأخوته، بحيث يكون لهذه الصفات والتخلّق بها الدور الأساس في صناعة شخصيّة الشاب في المستقبل القريب والبعيد.

● المبحث الثالث: صفات أخوان الثقة

إنّ المنظومة الإسلاميّة المستنبطة من الروايات والآيات الشريفة لم تكتفِ ببيان مضارّ جليس السوء وصفات من يجب اجتنابهم بل أكملت البناء من هذه الجهة عبر الحديث عن أصدقاء الخير أو إخوان الصدق كما تعبّر عنهم الروايات، فبقدر ما يزرع صديق السوء وجليسه من الصفات السيّئة في جليسه وصديقه، كذلك يزرع أخو الصدق وجليسه كلّ بذور الخير والصلاح في من يجالسه ويرافقه، بل هو يشكّل حاجة

١ - الليثي الواسطي: عيون الحكم والمواعظ، ص٢٩٥.

إنسانيّة وخُلُقيَّة لا يُستَغنى عنها خصوصًا في أوقات الشدّة فهو مَحَطّ الشكوى وموئِلُ الحاجة والملجأ عند الضيق وهذا ما يعبرّ عنه (ابن المقفّع) في كتابه (الأدب الصغير والكبير)[1] قائلاً: «اعلم أنّ إخوان الصدق هم خير مكاسب الدنيا، هم زينةٌ في الرخاء، وعدّةٌ في الشدّة، ومعونةٌ على خير المعاش والمعاد، فلا تفرّطنّ في اكتسابهم، وابتغاء الوصلات والأسباب إليهم.“

بالعودة إلى الروايات فقد حدّدت بشكلٍ مفصّل من يجب مجالسته واتّخاذه صديقًا مبرزةً أهمّ هذه الصفات وهي:

١- العالم الربّاني

لقد أكَّدت الروايات المباركة على الاستفادة من العلماء الربانيين ومصاحبتهم ومجالستهم فهم يأخذون بيد المرء إلى عالم العلياء ويصلون به إلى حيث أراد اللَّه سبحانه من خلال نشر معارفهم والقيام بدورهم في تبليغ رسالة اللَّه وهداية الناس والدفاع عن مبادىء الدين الحنيف، فهؤلاء العلماء الربّانيّون هم صمّام الأمان الذي يحمي المجتمع من الانحراف ومن الانغماس في أمواج الرذيلة والمنكرات، يقول الإمام علي عليه السلام في هذا المجال: «عجبت لمن يرغب في التكثر من الأصحاب كيف لا يصحب العلماء الألبّاء الأتقياء

١ - عبد الله بن المقفّع: الأدب الصغير والأدب الكبير، ص١٠٨.

الذين يغتنم فضائلهم وتهديه علومهم وتزيّنه صحبتهم»[١]. وفي وصية (لقمان) لابنه: «يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن اللَّه عزّ وجلّ يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء».[٢]

من هنا وبالنظر إلى أهميّة مجالسة العلماء الربّانيين ومصاحبتهم نجدالإمام زين العابدين عليه السلام وفي فقرةٍ من دعاء (أبي حمزة الثمالي) يعتبر أنّ التخلي عنهم وترك مجالستهم موجب للخذلان من اللَّه تعالى: «أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني». باعتبار أنّ من لا يجالس العلماء أبدًا بحيث يتولّد لديه نفورٌ من العلم والحكمة والموعظة الحسنة التي يؤدّيها هؤلاء لا بدّ أن يعوّض هذا النقص بمجالسة الجهّال والفسّاق وأصدقاء السوء وهذا من الخذلان وليس من موارد التوفيق الإلهي لما له من آثارٍ وعواقب وخيمة على المسار الحياتي والسلوكي لهذا الشخص.

٢- الحكماء والحلماء.

لطالما عبرّت الروايات عن كون الحكمة مطلبًا رئيسًا وجوهريًّا للمؤمن بل هي ضالّته مهنا نجد في بعض الروايات عن الإمام علي عليه السلام قوله:

---

١ - الليثي الواسطي: عيون الحكم والمواعظ، ص٣٣٠.

٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج١، ص٢٠٤.

«خذ الحكمة أنى كانت، فإن الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج في صدره حتى تخرج فتسكن إلى صواحبها في صدر المؤمن»[١]، «فإنّ الدعوة إلى تلقي المعارف والفضائل وابتغاء ما يقوّم الإنسان ويسدده في حياته،قد يجده الشخص ويأخذه من كل أحد بغض النظر عن مبدئه الفكري والعقيدي فإن التكامل وكسب المقومات للشخصية الفردية مما يسعى إليه ويهدف نحوه فلا يكون حاجز العقيدة مانعًا من الاستفادة بالحدود التي يؤطرها عدم الانسياق وراء الإعجاب الشخصي ليترك الإنسان دينه ومبدأه، بل بحدود التعلم والتوصل إلى ما هو أفضل من دون ما مساس بالشؤون الشخصية وخصوصًا الدينية، فإنها من أهم ما يجب الحفاظ عليه والموازنة فيه، ولعل من أحد أسباب الدعوة إلى اكتساب الحكمة أنها ترفع الإنسان عن فعل القبيح وتؤهله لأن يحتل مركزًا مرموقًا بين الناس، بما يعني انضباطه وتحرجه عن فعل ما لا يليق وهو ما يوفر حماية المجتمع من الأخطار الخُلُقيّة والانحرافات السلوكية».[٢]

٣- المحِبّ في اللَّه

الذي يحبّك في الله ويودّك مودّة خالصةً لا يبتغي منك المصلحة

---

١ - ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج١٨، ص٢٢٩.

٢ - محمد صادق السيد محمد رضا الخرسان: أخلاق الإمام علي عليه السلام، ج١، ص.ص ١٦٣ - ١٦٤.

الضيّقة بحيث تزول مودّته ومحبّـته لك بمجرّد أن يحقّق ويصل إلى تلك الغاية والمصلحة الدنيويّة، بل تتّصف محبّته لك بالدوام والاستمراريّة والاتّزان بحيث ينصحك عندما يراك خرجت عن جادّة الحقّ والصواب. فعن أمير المؤمنين عليه السلام: خير إخوانك من واساك وخير منه من كفاك وإذا احتاج إليك أعفاك». أو الدعوة إلى الله تعالى: «خير إخوانك من دعاك إلى صدق المقال بصدق مقاله، وندبك إلى أفضل الأعمال بحسن أعماله».

وفي نهاية هذا المطلب، سأستعرض وصيتين جامعتين وجوهريتين يمكن أن تعَدّا بمثابة الدستور في كيفيّة اتّخاذ الأصدقاء وبيان صفاتهم ومزاياهم التي لا بدّ أن يتحلّوا بها.

أ. عن الإمام علي عليه السلام: "الأخوان صنفان: إخوان الثقة، وأخوان المكاشرة، فأما أخوان الثقة، فهم الكفّ والجناح والأهل والمال، فإذا كنت من أخيك على حدّ الثقة، فابذل له مالك وبدنك، وصاف من صافاه وعاد من عاداه، واكتم سرّه وعيبه، وأظهر منه الحسن، واعلم أيها السائل أنّهم أقلّ من الكبريت الأحمر، وأما أخوان المكاشرة، فإنَّك تصيب لذَّتك منهم، فلا تقطعنّ ذلك منهم، ولا تطلبنّ ما وراء ذلك من ضميرهم، وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان"[1].

---

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٢، ص١٩٣.

يبيّن الإمام عليه السلام في هذا التصنيف نوعين من العلاقة الأخوية؛ الأولى المعبّر عنها بـ (أخوان الثقة) التي تمثّل أرقى أنواع العلاقات الأخويّة، فهي عبارة عن العلاقة العميقة المتينة في أبعادها الرسالية بما تشتمل عليه من أجمل معاني المودّة والوفاء والاحترام، وأصحابها هم أهل الصلاح والصدق الذين يوثق بهم في الدين؛ لأنّهم لا يعيشون حالة الازدواجيّة في الشخصيّة والنفاق، بل يعيشون حالة التصالح مع الذات فظاهرهم دائمًا موافقٌ لباطنهم بما يكون مدعاةً للثقة بهم واعانتهم ومصافاتهم ومعاداة أعدائهم وكتمان أسرارهم، واظهار محاسنهم، وإخفاء مساوئهم، بل يصلون إلى درجة يصبحون الكفّ والجناح الذي يمكن الاعتماد عليه في كفّ الأذى ورفع الباطل.
وأما المرحلة الثانية أو الشكل الثاني من العلاقة المعبّر عنها بـ (أخوان المكاشرة) فيمكن اعتبارها أو ووصفها بالعلاقة السطحية التي لا تتعدى الظاهر والمجاملة بمعنى أنها مقتصرة على دلالات الوجه واللسان دون البناء على ما وراء ذلك من داخل الآخر، فلذا لا يمكن أن يكون هذا الصنف بمثابة الصنف الأول بالتعويل عليه ومكاشفته بالشؤون الخاصة وإيداع الأسرار لديه.

ب. أمّا الوصية الثانية فعن الإمام الحسن عليه السلام؛ حيث يجمع

أوصاف أخوان الصدق وخلاّن الوفاء في وصيَّته لـ (جنادة) في مرضه الذي توفيِّ فيه؛ حيث قال عليه السلام: "اصحب من إذا صحبته زانك، وإذا خدمته صانك، وإذا أردت منه معونة أعانك، وإن قلت صدّق قولك، وإن صلت شدّ حولك، وإن مددت يدك بفضل مدّها، وإن بدت عنك ثلمة سدّها، وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن سألته أعطاك، وإن سكتّ عنه ابتداك، وإن نزلت إحدى الملمّات به ساءك".[1]

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٤٤، ص١٣٩.

الفصل الرابع:

الحوافز الجنسيّة ووسائل التواصل الاجتماعي

نتعرّض في هذا الفصل لقضية من أهم القضايا المعاصرة في حياة الشاب، وهي مسألة الحوافز الجنسية ووسائل التواصل الاجتماعي؛ حيث تعتبر هذه المسألة من المسائل التي تشكل تحديًا رئيسًا أمام تكامل الشباب.

● المبحث الأوّل: الحوافز الجنسيّة

لا مبالغة في القول إنّ موضوع الشهوة الجنسيّة الفائرة والبالغة أوجها في مرحلة الشباب نتيجة العوامل الفيزيولوجيّة والسيكولوجيّة المختلفة تشكّل التحدّي الأبرز الذي يواجه الشاب المسلم، وكثيرٌ من الانحرافات التي تحصل لدى الشباب في أيّامنا هذه قد يكون العامل الجنسي هو أبرز المُسهمين فيها خصوصًا في عصر العولمة والتكنولوجيا وما نتج عنها من اكتشافاتٍ واختراعات في وسائلِ متعددة وتقنيات مختلفة، من

أنواعِ الهواتف وشبكات المعلومات وقنواتِ البثّ وغيرها من وسائل الاتصال والإعلام من مسموع ومقروء، جعلت جلّ همّها استغلال هذه الشهوة المتحفّزة عبر إثارة الشهوة، وتعطيل العقل، والغرق في الماديّة، والابتعاد عن الروحانيّة عبر نشر الأغاني الساقطة، والأفلام الإباحيّة، وإشاعة الزنا، ونشر بواعثه ومثيراته، وصولاً إلى تعرية المرأة والمناداة بتحريرها وتحرّرها من كلّ شيء، وصولاً إلى تسليعها واستهلاك أنوثتها ومقوّماتها في سبيل تحقيق الأرباح الماديّة، حتّى لو كان في ذلك مسخًا لفطرتها التي فطرها الله عليها من العفّة والرزانة.

من هنا، على الشاب أن يعلم أنّ الله -تعالى- الذي خلق الإنسان وقد أودع فيه هذه الشهوة الغريزيّة، كذلك قد أرشده إلى كيفيّة تسخيرها في المكان الصحيح، ولم يرد له أن يكبتها ويقضي عليها؛ إذ لا رهبانيّة في الإسلام، وأراد أيضًا منه أن يضبطها بضوابط الشريعة، وإلّا فستتأجج نارها وتهوي بصاحبها في المزالق والمهاوي السحيقة، بحيث يكون الشاب وللأسف حينئذ ممّن تصدق عليه الآية الكريمة: ﴿**فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾ [مريم: ٥٩].

من هنا إذا أردنا بيان نظرة الإسلام إلى الشهوة، فيمكن القول إنّ الإسلام دعا إلى الاعتدال والوسطية في التعامل مع الشهوات، فنهى عن إطلاقها وتحررّها بصورة كاملة، كما منع كبتها وتدميرها. فالإسلام

يدعو إلى ضبط الشهوات وتنظيمها واعتدالها، وتقوية روح التسامي في الإنسان، والتطلّع إلى ما هو أرفع وأعلى، وعدم الاستغراق في اللذائذ المحسوسة، بحيث يُحرَم الإنسان من التأمّل والمشاركة في الاهتمامات الكبيرة التي تليق بدوره بوصفه خليفة لله في أرضه.

كذلك يمكن عبر التأمّل في الأحاديث والآيات القرآنيّة استخراج قواعد في كيفيّة تعامل الشابّ مع هذه الشهوة، بحيث يضمن أن تبقى في مسارها الصحيح وهي:

١. السعي في بناء الذات عبر التربية الإيمانية المتكاملة التي تتضمن معاني التقوى والمراقبة والخوف والرجاء والمحبة، بحيث يصبح الشاب شابًّا تقيًّا نقيًّا لا تستهويه مادة، ولا تستعبده شهوة، مقتديًا بذلك بما حصل مع النبي يوسف عليه السلام حينما واجه كلّ الإثارات ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ [يوسف: ٢٤].

٢. الحذر من النظرة المسمومة فهي سهمٌ من سهام إبليس، فالنظرة تولّد الفكرة، والفكرة تولّد الشهوة، والشهوة تولّد المعصية قال الله تعالى: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ**

أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠]. عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: «النَّظَرُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومٌ وكَمْ مِنْ نَظْرَةٍ أَوْرَثَتْ حَسْرَةً طَوِيلَةً».[1] فالنظر إلى الأمور المحرّمة التي تثير الشهوة سوف تترك آثارًا سلبية جدًا على خيال الإنسان وتفكيره وحتّى تركيزه؛ بحيث يمتلأ ذهنه بالصور الفاسدة التي تحرّكه دائمًا للقيام بالمعاصي والمنكرات.

٣. السيطرة على قوّة الخيال والخواطر فهي مبدأ الخير والشر، ومنها تتولد الإرادات والعزائم، فإنَّ من سيطر على خواطره ملك زمام نفسه، من هنا نجد أغلب علماء الأخلاق والسلوك يركّزون على مفردة ضبط الخيال والتصوّرات والخواطر فالتفكير بحدّ ذاته لا محذور فيه، بل هو نعمة من الله وأمر ممدوح في الإنسان. لكنّ التفكير إذا كان في أمر محرّم فقد يقود صاحبه إلى فعل الحرام، لذا لو خطرت للإنسان خاطرة أو فكرة ما محرّمة فإنّ الواجب عليه أن يقطع التفكير بها ويشغل فكره بالأمور الخيّرة والمفيدة.

---

١ - محمد بن الحسن الحرّ العاملي: وسائل الشيعة، ج٢٠، ص١٩١.

٤. التعفّف وتربية النفس على العفّة والاستعانة بالصوم، فإنه يكسر جماح الشهوة، ويخفّف من لهيبها، وكذلك ممارسة الرياضة سواء المشي أو الركض أو كرة القدم والسلّة والسباحة، فلها فوائد جمّة؛ حيث تتعزّز ثقة الشابّ بنفسه ولا يبقى يفكّر بالأمور الجنسيّة. والعفّة هي صفة نفسية في الإنسان تعني صون النفس وتنزيهها عن كلّ أمر دنيّ، كما أنّ التحلّي بالعفة يرفع من مقام العبد ويحصنّه من الوقوع في المعاصي، ومنها الشهوات المحرّمة، عن الإمام علي عليه السلام: «ثمرة العفة الصيانة»[1] ، فبالتالي الذي يعفّ نفسه عن الشهوات يحصّل النتيجة المرجوّة وهي صيانة نفسه عن الشهوات المحرّمة.

٥. تسهيل أمر الزواج والإقدام عليه في أول فرصة ممكنة، فقد أكّدت الروايات على أهميّة الزواج بالنسبة للشاب وحثّته عليه لما له من آثار مهمّة في إخماد الشهوة وضبط النفس. ولكن هنا لا بدّ الإشارة إلى نقطتين:

أ. إنّ حثّ الشريعة على الزواج المبكر لا يعني الزواج المتسرّع، ففرقٌ بينهما، فلا بدّ للشاب والشابّة أن

---

١ - علي بن محمد الليثي الواسطي: عيون الحكم والمواعظ، ص ٦٧.

يترويا في عمليّة الاختيار والتعارف بحيث يأخذ كلٌّ منهما وقته لكي يعرف خصال الطرف الآخر وملكاته، فالزواج ليس تجربة أو لعبة أو رحلة بسيطة، إنّه شراكة حياة ومسؤوليّات، كما لا بدّ من تحصيل النضج النفسي والعاطفي والانفعالي والحدّ الأدنى من خبرة الحياة قبل الدخول في هذا المعترك، من هنا -وللأسف- نجد كثيراً من حالات الطلاق لدى الشباب في مجتمعاتنا بسبب عدم مراعاة هذه الأمور والضوابط.

ب. هناك مسؤوليّة جمّة وكبيرة تقع على عاتق الأهل وأولياء الأمور؛ حيث يجب عليهم أن يراعوا مسألة متطلّبات الزواج، فلا يُثقِلوا كاهل الشابّ بكثير من المتطلّبات، بدءًا من المهر المعقول والمقبول عرفًا، وانتهاءً بمستلزمات التجهيز والسكن وغيرها. ورد في الأثر عن رسول اللّه ﷺ: «ما مِن شابٍ تَزَوَّجَ في حَداثَةِ سِنِّهِ إلّاعَجَّ شَيطانُهُ: يا وَيلَهُ، يا وَيلَهُ! عَصَمَ مِنّي ثُلُثَي دينِهِ، فَليَتَّقِ اللَّهَ العَبدُ فِي الثُّلُثِ الباقي»[1]. وفي

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج١٠٣، ص٢٢١، ح٣٤.

رواية أخرى عنه ﷺ: «إذا جاءَكُم مَن تَرضَونَ خُلُقَهُ ودينَهُ فَزَوِّجوهُ {إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَ فَسادٌ كَبِيرٌ}»[1].

٦. الابتعاد عن كل ما يثير مكامن الشهوة من ألفاظ غزلية، وطرائف فاحشة، وقصص هابطة، وهنا لا بدّ من الإشارة إلى ظاهرة خطيرة منتشرة في مجتمعاتنا، وهي ظاهرة المقاهي التي تنتشر في الشوارع كالنار في الهشيم، فلا مانع للشاب من ارتيادها أحيانًا ولكن ما نراه من بعضهم أنّها تصبح بيته الثاني، بحيث يقضي الشباب جلّ أوقاتهم بالكلام الفارغ والتدخين، كما لا بدّ للشاب أن لا يذهب إلى الأماكن المختلطة إلّا بالمقدار المتعارف، فالاختلاط الدائم بين الجنسين لا بدّ أن يفتّح تلقائيًّا الشهوات والغرائز من الجانبين.

٧. تعزيز الحكمة والمعرفة: فكلّماعزّز الفرد الجوانب المعرفيّة في شخصيّته عبر علم العقيدة المُعرِّف لأصول الدين، وعلم الأخلاق المعرِّف لمنجيات النفس ومهلكاتها، وعلم الفقه المعرّف لكيفية العبادات والمعاملات. كلّما كان أكثر

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٥، ص٣٤٧، ح٣.

تحصّنًا أمام الشهوات. عن الإمام عليّ عليه السلام أنه قال: «كلّما قويت الحكمة ضعفت الشهوة»[١]، ومن أهمّ أنواع العلم التي تمنع عن ارتكاب المعاصي هي التفكّر في عواقب الشهوة المحرّمة؛ فإنّ التفكّر بتوابع وعواقب الشهوات المحرّمة يردع الإنسان عن الوقوع في مهالكها، ويجنّبه الحسرة والندم والحزن.

● المبحث الثاني: وسائل التواصل الاجتماعي وكيفيّة التعامل معها

أوّلًا: دوافع استخدام وسائل التواصل الإجتماعي.

حمل عصر ما بعد الحداثة أنماطًا حياتيّة جديدة مخالفة ومغايرة لما قبله على مختلف الأصعدة والمستويات الثقافيّة، والفكريّة، والاجتماعيّة، والتّربويّة، والتّكنولوجيا، ووسائل الإعلام، وغيرها من الأبعاد الكثيرة الّتي صارت تُشكّل بمجموعها مفهوم (حياة الإنسان المعاصر). ومن أهمّ تجليّات هذا التطوّر في العصر الرقمي هو موضوع وسائل التواصل الاجتماعي بما تمثّله من إشكاليّة فكريّة وتطبيقيّة، خصوصًا مع تنوّعها

١ - الليثي الواسطي: عيون الحكم والمواعظ، ص٣٩٥.

وشمولها لمختلف شرائح المجتمع وخصوصًا الشباب؛ حيث يأتي على رأس المستخدمين لمواقع التواصل الاجتماعي فئة الشباب الذين تقع أعمارهم بين ١٨ إلى ٣٥ عامًا، فربمّا لا نجد شابًّا في هذا العالم لا يستعمل هذه الوسائل؛ حيث تشير الإحصاءات إلى أنه في عام ٢٠٢١م كان هناك أكثر من ٤،٢٦ مليار شخص يستخدمون مواقع التواصل الاجتماعي في جميع أنحاء العالم، أي أنه ما يقرب من ٥٩,٣٪ من سكان العالم يستخدمون على الأقل موقع واحد من مواقع التواصل الاجتماعي، ومن المتوقع أن يرتفع هذا الرقم إلى ما يقرب من ٦ مليار مستخدم بحلول عام ٢٠٢٧م.[١]

تتعدّد الدوافع التي تدفع الشباب إلى استخدام وسائل التواصل الإجتماعي أحاول تلخيص أبرزها بالنّقاط الآتية:

١- الاستخدام بدافع التّعارف والتّواصل:

وهو الاستخدام الأكثر شيوعًا، حيث تفسح وسائل التّواصل الاجتماعيّ مجالاً لتكوين الصّداقات بشكل متسارع جدًّا، سواء الّتي وصلت إلى مستوى الصّداقة الواقعيّة أم الّتي بقيت في أفق الصّداقة،

١ - رماح الدلقموني: وسائل التواصل الاجتماعي حقائق وأرقام، مقال منشور على موقع الجزيرة.نت، بتاريخ ٦-١٠-٢٠٢١.

ويتمظهر الاستخدام الشّخصي بمظهر العضويّة؛ حيث يستطيع الفرد أن يكون عبر الشّبكات الاجتماعيّة عضوًا في مجموعة أو مجموعات تجمعها أهدافًا واحدة قد تكون سياسّة أو اجتماعيّة أو فكريّة أو تربويّة.

٢- الاستخدام بدافع التّعليم والتّعلم:

الهدف منه تطوير التّعليم، سواء داخل المنظومة التّعليميّة الرّسميّة أم خارج المدرسة، بحيث يكتسب الفرد عددًا كبيراً من المعلومات الّتي تهمّه على الصّعيد العلمي الجامعي أم الثقافيّ بشكل عامّ.

٣ - الاستخدام الإخباري:

حيث تتيح وسائل التّواصل الاجتماعيّ للفرد التّواصل مع المشتركين من مواقع الأخبار المتخصّصة وقنوات الأخبار لمعرفة الأحداث المحلّيّة أو الإقليميّة أو العالميّة.

٤ - الاستخدام بدافع الدّعوة والتوعية.

يستخدم كثير من الدعاة وسائل التواصل لأجل الدعووة إلى أفكارهم معتقداتهم الدينيّة، أو توجّهاتهم السياسيّة، أو لغرض التّحذير من نتائج بعض الظّواهر السّلبيّة، وفي تقديم النّصائح وإرشاد المجتمعات وتوجيه الأسرة والأهل وشتّى مراتب المجتمع.

٥ - الاستخدام بدافع التسلية.

تشكّل وسائل التواصل الإجتماعي فرصةً لكثيرين وخصوصًا لفئة الشباب فسحةً لأجل تمضية الوقت والقضاء على الفراغ أو استكشاف عالم جديد.

هذه هي أبرز مبرّرات استخدام وسائل التواص الاجتماعي لدى الشباب، لكنّ الدافع الأبرز ووالأكثر انتشارًا كما قلت هو الدافع الأوّل، أيّ بغية التعارف والتواصل، وبشكل عامّ ومن خلال الاستقراء، نستطيع أن نختار أبرز الأهداف العامّة لمستخدمي وسائل التّواصل الاجتماعيّ بُغية التّعارف وعرضها ضمن ثلاثة عنوانين رئيسة، وهي:

أ. المتابعات الاجتماعيّة في إطار الزّواج، والتّربية، والعلاقات العامّة.

ب. العلاقات العاطفيّة.

ج. العلاقات الجنسيّة.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه العناوين بعدها يكون منطلقًا من دوافع سليمة وآخر من دوافع غير سليمة، وأهمّ هذه الدوافع السليمة هو التعارف بغية إقامة علاقة عاطفيّة جديّة بين الطرفين تؤدّي إلى التعارف المباشر مثلاً وإلى الزواج في النهاية أو بهدف اشباع الرغبة الجنسيّة بالطرق المحلَّلة. أمّا الدوافع غير السليمة والخطيرة التي ينبغي للشاب أن يتجنّبها فأهمّها الخيانات الزوجيّة أو الجنس الافتراضي المحرّم،

وأخطرها طبعًا الاستغلال الجنسي وصولاً إلى حصول التحرّش أو الاعتداء المباشر، كما لا بدّ للشباب من الالتقات إلى دافع آخر كُثر استخدامه في الفترة الأخيرة من قبل الأعداء وأجهزتهم الاستخباراتيّة وجيوشهم الإلكترونيّة، وهو الحرب الناعمة من خلال وسائل التواصل الإجتماعي فالحرب النّاعمة هي حرب صامتة، لا تخضع للقانون الدّوليّ الّذي يرعى قواعد الحروب العسكريّة، فهي تتّسِم بالسّريّة والتّعقيد، وتدار عن بُعد، ينفّذها العملاء أو النّاشطون الميدانيّون بهدف احتلال العقول والقلوب وتدمير المنظومة الفكريّة بأكملها عند الضّحيّة.

«إنّ الهدف من شنّ هذه الحرب هو السّيطرة على البيئة الثّقافيّة والسّياسيّة والمعلوماتيّة والإعلاميّة للنّظام أو المنظّمة المعادية، وشلّ فعّاليّة الجهاز المفاهيميّ في عمليّات القيادة والسّيطرة في الحقلين الثّقافيّ والسّياسيّ، تمهيدا لممارسة التّوجيه والتّحويل التّدريجيّ لعقول وقلوب النّخبة القياديّة والجمهور والرّأي العامّ، وإحداث البرمجة السّلوكيّة، لأجل الاحتلال التّدريجيّ لطبوغرافيا المجال العامّ، والسّيطرة على الميدان الفعليّ على الأرض من خلال مجموعات منظّمة من العملاء وبعض النّاشطين من المنخدعين والمضلّلين جرّاء جاذبيّة الشّعارات الأميركيّة والغربيّة، توصيلاً للإطاحة بالنّظام أو المنظّمة المعادية»[1].

١ - مركز الحرب النّاعمة للدراسات: الحرب النّاعمة الأسس النظريّة والتطبيقية.

فإنّ مسألة التّعارف على أجهزة التّواصل تمثّل مصيدة للعدو، ومن أبرز الأساليب التي يستخدمها أسلوب التّجنيد بحيث يصبح الضّحيّة مجنّدًا لصالح المستعمِر فيتشكّل على الشّاكلة الّتي يريدها ويتمّ هذا مثلاً بوصول العدوّ إلى ابتزازه بأمر ما مثل الابتزاز الجنسيّ، فيصبح لديهم ورقة ضغط وهي إمّا فضح الضّحيّة أو تجنيده، فيكون خيار الضّحيّة غالبًا الموافقة على العمل معهم قهرًا.

ويعمد خبراء هذه الحرب إلى إرسال من يوقع الضّحيّة عبر وسيلة التّعارف، ولا يجري هذا عشوائيًّا، إنّما الخبراء لديهم اختصاصيّون في العلوم النّفسيّة وغيرها ليعرفوا شخصيّة الضّحيّة، وما هي ميولاته النّفسيّة، ومن أيّ باب يأتون إليه، وغالبًا ما يأتون من الباب الّذي لا يتوقّعه الشّخص أبدًا.

ثانيًا: كيفيّة التعامل مع وسائل التواصل والتخلّص من السلبيّات.

أمام هذا الواقع الّذي يعيشه الإنسان في مواقع التّواصل الاجتماعيّ وفي صفحاته العامّة أو الشّخصيّة، من الجدير له أن يعلم أنّه دائما في مرحلة خطرة، وأنّ الأفضل له أخذ الحذر والاحتياط في كلّ كلمة ينطق بها؛ حيث إنّه قد يكون عرضة للمراقبة في كلّ لحظة، فالعدوّ إذا أراد اصطياد فريسته في الحرب النّاعمة، فإنّه يعمد لرصد الضّحيّة فترة تكفيه

لمعرفة الشّخص معرفة شبه تامّة من خلال طريقة تفكيره وأسلوبه في التّعاطي مع الأحداث وطريقته في التّعبير، ومن خلال ردّات فعله، وما هي اهتماماته، وكلّ ما يتعلّق به.

من هنا على الشباب المعاصر الالتفات إلى مخاطر وسائل التواصل الاجتماعي ومحاولة الاستفادة منها في جوانبها الإيجابيّة، والتنبّه إلى مخاطرها السلبيّة خصوصًا ظاهرة الإدمان على هذه الوسائل؛ إذ أظهرت كثير من الدراسات أنّ هذه الوسائل السّبب الرّئيس لكثيرٍ من حالات الطّلاق والتّفكّك الأسريّ فضلاً عن الانحراف الفكريّ والفلتان الخُلُقيّ حيث أكّدت كثير من الدراسات على ارتباط الإدمان على مواقع التّواصل بزيادة نسب الإحباط. وأشارت إلى أنّ زيادة الوقت الّذي يقضيه المراهق على مواقع التّواصل يزيد من فرص الإحباط، وإذا أردنا استعراض أهمّ الجوانب الإيجابيّة لهذه الوسائل والتي يمكن للشباب الاستفادة منها، فهي وفق الآتي:

١. إتاحة الفرصة للشباب للتعبير عن أفكارهم وآرائهم بمختلف الأحداث والمستجدّات، والأمور الفكريّة والاجتماعيّة، وغيرها.
٢. الحصول على الدعم والمشاركة؛ فإنّ مجرد مشاركة الشخص لمشاكله والتعبير عنها والحصول على دعم الآخرين أو سماع خبراتهم عن المشكلة ذاتها وكيفية حلّها

يسهِّل على الشخص تخطي هذه المشكلة بشكلٍ أفضل، لكن ينبغي في هذا المجال الحذر وحسن الاختيار لمن يبثّ له الشابّ هذه المشاكل، بحيث يكون الشخص الذي يبثّ له هذه المشاكل فعلاً من المختصّين، وممّن هو أهلٌ للمساعدة في إيجاد الحلول المناسبة.

٣. الحصول على فرص عمل والتسويق لأنفسهم، فكثيرٌ من المنصّات أصبحت رابطًا بين الشركات وأصحاب العمل وأصبحت الشركات تستخدمه أداة لاستقطاب الموظفين في كل أنحاء العالم، مضافًا إلى ظهور ما يسمى بمهارات تسويق التي يستخدم فيها مواقع التواصل الاجتماعي والمدونات لإبراز مهارات الشخص وتوثيق إنجازاته في العمل.

٤. الاتصال الدائم بالعالم، ففي الماضي لم يكن لدينا الفرصة للبقاء على اتصال دائم مع الأصدقاء والعائلة في حالة وجود كل منهم في دولة أو مدينة أخرى، ولكن الآن أصبح الأمر سهل للتواصل مع أي شخص في أي مكان.

أمّا بالنسبة إلى السلبيَّات التي سبق وأن تطرّقت إلى بعضها، فيمكن تلخيصها:

١. **الإدمان:** إنّ كثيراً من الأفراد، وخاصة المراهقين، يقضون

ما بين ١٣ و١٨ سنة حوالي ٩ ساعات يوميا في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي[١]. وذلك أكثر من ساعات النوم والطعام والشراب حتى يصل بعضهم إلى أنه لا يستطيع قضاء ساعة كاملة دون تصفّح منصات التواصل الاجتماعي، وهذا ينعكس ويؤثّر بشكل كبير وسلبي على جوانب الحياة الأخرى، فهو يأتي على حساب أوقات العائلة والعمل والدراسة، ويؤثّر بشكلٍ هائلٍ على التركيز ويؤدّي إلى تشتّت التفكير.

٢. **العزلة الاجتماعية ووهم التواصل الافتراضي:** لقد انتشر كثيراً في الآونة الأخيرة استغناء كثير من العائلات عن التواصل المباشر والاستعاضة عنه بالتواصل من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، فأصبحت التعازي والتهاني والتبريكات كلّها على هذه الوسائل الإفتراضيّة. إنّ مثل هذه الممارسات تؤدّي إلى ضعف تطوّر الشخص اجتماعيًا ومهنّيًا بسبب عدم قدرته على التفاعل الإيجابي والطبيعي مع جوانب الحياة المختلفة.

---

١ - إدارة وسائل التواصل الاجتماعي في حياتنا..بعيدًا عن أخطارها، مقال منشور في مجلة التنمية الإداريّة، العدد ٢٢٠ - ٢٢ محرم ١٤٤٧هـ، نقلاً عن مجلّة bussines insider الأميركيّة.

٣. **مراقبة أحوال الآخرين والتأثّر بها:** يتعمد بعضهم في إظهار الجانب الإيجابي والمثالي فقط على وسائل التواصل الاجتماعي، ما يسبب الإحباط واليأس للبعض من كثرة تتبع المشاهير والمؤثّرين وأخبارهم، بحيث تتولّد لدى هؤلاء المتابعين كثير من عقد النقص والدونيّة، وقد صدق الشاعر حين قال: «من راقب الناس مات همًّا وفاز باللذّة الجسور».

من هنا نجد كثيرا من العلاقات قد انتهت بالفشل والطلاق نتيجة التأثّر بحياة زوجيّة قد تكون مصطنعة لأحد المشاهير.

من هنا أذكر في الختام بعض التوصيات الأساس للشباب والأهل في كيفيّة التعامل مع وسائل التواصل الإجتماعي وهي:

١. إقامة النّدوات والدّورات التّوعويّة في المدارس بهدف تعليم الشّباب وتقوية المناعة والرّقابة الذّاتيّة من خلال تزويدهم بالمعرفة السّليمة وكيفيّة التّعامل مع مواقع التّواصل الاجتماعيّ كما لا بدّ منش شمول هذه النّدوات التّوعوية للأهالي كي يساهموا بدورهم في توعية أولادهم على التعامل الجدّي والرصين مع هذه الوسائل.

٢. التّحذير من قبول طلبات الصّداقة بشكل عشوائي، وعدم وضع المعلومات الشّخصيّة في متناول الجميع وخصوصًا الصور الشخصيّة.

٣. الاطّلاع باستمرار على قواعد الخصوصيّة الخاصّة بمواقع التّواصل الاجتماعيّ؛ نظرًا إلى التّعديلات الّتي قد تطرأ عليها والّتي قد تؤدّي إلى فقدان الخصوصيّة نهائيًّا، مضافًا إلى القيام بعمليّة التغيير الدوري لكلمة السرّ.
٤. الحذر من مشاركة الآخرين معلومات حسّاسة، مثل تاريخ الميلاد، وعنوان السكن، وأرقام الهواتف، والموقع، والمعلومات الماليّة، والأرقام الوطنيّة، وكلمات المرور، وكذلك الحذر الحذر دائمًا من ملفات التّجسّس الّتي تأتي عبر البريد الإلكترونيّ.
٥. الحذر من التّسّوق الإلكترونيّ أو إجراء الأعمال المصرفيّة في مقاهي الإنترنت، لأنّه يمكن اختراق المعلومات السّريّة، كرقم التّعريف الشّخصي «PIN» أو أرقام بطاقات الائتمان، وكذلك الحذر من التّصيّد الإلكترونيّ، فلا بدّ من عدم الاستجابة لأيّ طلب عبر البريد الإلكترونيّ يطلب منك فيه تفاصيل لتسجيل الدّخول عن طريق النّقر على الرّابط.

الفصل الخامس:

الآفات والرذائل الثقافيّة والخُلُقيَّة

في هذا الفصل الأخير، نذكر ما يناسب العلوم الاسلامية والفلسفية عن الرذائل الخُلُقيّة والقيمية، ومن ثم نبيّن ما أوردته النصوص الدينية في هذا المجال.

● المبحث الأوّل: الآفات الثقافيّة

لطالما اهتمّت مختلف العلوم الإسلاميّة أو العقليّة بالبُعدين النظري والعملي، من هنا نجد الحكماء قسّموا الحكمة إلى قسمين: الحمكة النظريّة والحكمة العمليّة، وكذلك في مجال بناء الشخصيّة الإيمانيّة على الشاب أن يراعي كلا البعدين النظري والفكري والثقافي، مضافًا إلى البعد العملي والممارسات الخُلُقيّة اليوميّة، سواء بصفته فردًا أم عضوًا في هذا المجتمع يحتَكُّ به سواءً على الصعيد الأُسَري أم المِهَني.

يمكن القول إنّ على رأس الآفات الثقافيّة التي ينبغي التَّحذيرُ مِنَها هي التَّبَعِيَّة الثقافيّة العمياء لأيّ أحد من الأشخاص، أو الجهات من هنا ورد عن امير المؤمنين عليه السلام: «إنّ الحقَّ والباطل لا يُعَرفان بالناس، ولكن اعرف الحقّ باتّباع من اتّبعه، والباطل باجتناب من اجتنبه»[1].

فعلى الشاب أن يسعى لأن يكون لديه هامش وحريّة في التفكير، فيستفيد من تجارب الآخرين وخبراتهم وآرائهم وأفكارهم ولكن دون أن يصل الأمر إلى حدّ الاستلاب الثقافي أو الاغتراب الثقافي أو الانبهار بالأفكار وتقديسها وصولاً إلى تقديس الأشخاص وليس فقط أفكارهم وهذا يحصل كثيراً في أيّامنا الحاليّة تجاه الغرب وأعلامه وآرائهم وأفكارهم؛ فقد أضحت ظاهرة الاغتراب الثقافي منتشرةً في كثير من مجتمعاتنا وخصوصًا لدى الشباب حيث نرى الشباب المسلم مندفع نحو التخلي عن هويّته العربيّة والإسلاميّة، ونراه يُقبِلُ وبشَغَفٍ على الثقافات المستوردة دون إمعان النظر فيما إذا كانت هذه الثقافات، وما تحويه من سلوكيات ملائمة لمبانينا ومبادئنا الفكريّة المستوحاة من الشريعة الإسلاميّة أو مخالفة لها وتضرب بها عرض الحائط.

إنّ هذه الظاهرة ينتج عنها كثير من المساوئ والسلبيّات، فالأفراد الذي يعانون من ظاهرة الاغتراب الثقافي يشعرون بالعزلة الاجتماعيّة وعدم

---

١ - محمد بن الحسن الطوسي: الأمالي، ص١٣٤.

الرغبة في إقامة علاقات اجتماعية مع الآخرين، كما تظهر عليه علامات ضعف مهارات التواصل المجتمعي، ورفض المجتمع كلّه ويتجلّى ذلك عبر فقدان الحماسة للمشاركة الفعالة في تحقيق الأهداف العامة للمجتمع الذي يعيش فيه، مضافًا إلى ما يمكن تسميته بالإغتراب عن الذات بحيث ينفصل الفرد عن ذاته ويغترب عنها فيقع بين ثقافتين فيعيش في حالةٍ من الصراع الداخلي بين العادات والتقاليد والأعراف التي تربّى عليها، وبين الثقافات الوافدة التي يرى فيها النموذج الأمثل للحياة العصرية فيصبح الشاب مجرّد مقلِّدٍ ومستوردٍ يعاني من شتّى أنواع الضغوط الاجتماعية نتيجة هذا التناقض والصراع، فيشعر بعدم الرضا عن ذاته، ويفقد صلته الحقيقية بنفسه كذلك يصبح عاجزا عن السيطرة على تصرفاته وأفعاله ورغباته، بل قد يصل الشابّ إلى مراحل خطيرة ومتقدّمة بحيثتفقد الحياة قيمتها لديه ويعيش اللا معنى في الحياة وعدم الهدفيّة ما يدفعه إلى الشعور باللا مبالاة واللا معيارية؛ حيث يعتقد الفرد أنَّ عددًا من السلوكيات المرفوضة أصبحت مقبولة، فيصبح السلوك لا ضابط له ولا محدّد ولا معيار يمكن أن يتحكّم به وصولاً إلى التمرّد والرفض والسخط على كل ما يحيط به من قيم وقوانين وعادات وضوابط اجتماعية، وعدم احترام ثقافة المجتمع الذي ينتمى إليه وليس من المبالغة القول إنّ هذه الظاهرة قد تسهم ايضًا فيما هو أخطر بكثير عبر المساهمة في نشأة وتطوّر عدد من الأَمراض الاجتماعية الخطيرة،

كالانحرافات السلوكية، وصولاً إلى الإلحاد بمختلف أنواعه، والعنف المفرط وبروز النوازع النفسيّة الخطيرة التي قد تؤدّي إلى الرفض المطلق للآخر أو التطرّف الديني والفكري والعقدي. من هنا قد ورد عددٌ كبيرٌ من الرويات الشريفة تحذَر الإنسان المؤمن وخصوصًا الشابّ من أن يكون إمّعة يميل مع الريح وينعق مع كلِّ ناعقٍ.

● المبحث الثاني: الآفات الخُلُقيَّة والعمليّة

لا شكّ أنّ الجانب لخُلُقيّ يعدّ من أكثر الجوانب أهميّةً بالنسبة إلى للحياة الإنسانية، بل هو يمثّل ركنًا رئيسًا في هذه الحياة، سواء كان ذلك على مستوى الفردي أم على المستوى الاجتماعي، بل هي من المشتركات بين جميع الأديان، سواء الإلهيّة أم الوضعيّة وان اختلفت في شرائعها وقوانينها، وقد تعدّدت المذاهب المبرزة للفعل الخُلُقيّ منذ ما قبل سقراط وصولاً إلى عصرنا الحالي، فمن دون الأخلاق يصبح الإنسان ذئبًا لأخيه الإنسان لا يستطيع أن يُقيم معه حياة اجتماعية سليمة باعتبار أنّ غرائز الإنسان متعدّدة ومتنوّعة ومعقّدة في آنٍ معًا، فمن دون الوازع والضابط الخُلُقيّ يحاول الإنسان أن يسيطر ويطغى على الآخرين ساعيًا إلى تحقيق غرائزه وشهواته بأيّ سبيلٍ كان، فكما أنّ الأخلاق تشكّل ضرورةً فرديّة، فهي كذلك تشكّل ضرورةً اجتماعيّة

وحضاريّة فالمجتمع يفسد بشيوع الصفات الرذيلة والمساوئ في أوساط المشكّلين له، بل قد يقال في هذا العالم الرقمي والتكنولوجي الذي يقطع أشواطًا من هذه النواحي أنّ الأخلاق ألزم وأهمّ بالنسبة للإنسانيّة، ولتقدّم المجتمعات ودوامها واستمرارها من العلم، فمن دونها يستخدم العلم والتطوّر لكي تقضي الدول والشعوب على بعضها البعض وعلى منجزات كلّ طرفٍ من قبل الآخر، وها هي الحضارة الغربيّة ببابنا فهي قد أهملت الأخلاق وركّزت على العلم فقط، لكنّها لم تحقّق السعادة والطمأنينة المطلقتين لأفرادها. من هنا، نرى انتشار الأمراض العصبيّة والنفسيّة وزيادة معدّلات الانتحار بشكلٍ كبيرٍ في هذه البلدان وقد صدق الشاعر في قوله:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا.

وقول آخر: وليس بعامرٍ بنيانُ قومٍ إذا أخلاقهم كانت خرابًا.

من هنا على الشاب المؤمن أن يلتزم الفضائل الخُلُقيَّة، ويجتنّب الرذائل والمساوئ الخُلُقيَّة التي تعيق بناء شخصيّته الإيمانيّة، وأهمّ هذه الرذائل التي عليه اجتنابها:

١-عُقوقُ الوالِدَين.

من أخطر الآفات التي حذّر منها القرآن الكريم بالنسبة إلى الشابّ المسلم هي عقوق الوالدين. وهو أشد أنواع قطيعة الرحم؛ إذ أخصّ

الأرحام وأمسها ما كان بالولادة، ولكونه أشد أنواع القطيعة وأفظعها، وردت في خصوص ذمه آيات وأخبار أخر كثيرة، ﴿**وَقَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْسانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُما وَقُلْ لَهُما قَوْلًا كَرِيمًا**﴾ [الأحقاف: ١٧].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: "أدنىَ العُقوقِ أفٌّ ولَو عَلِمَ اللَّهُ عز وجل شَيئًا أهوَنَ مِنهُ لَنَهى عَنهُ"[١].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله في كلام له: إياكم وعقوق الوالدين، فإنَّ ريح الجنة توجد من مسيرة ألف عام، ولا يجدها عاق، ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان، ولا جار إزاره خيلاء. إنما الكبرياء لله رب العالمين»[٢]. في هذا المقام يجب على الوالدين أيضًا أن لا يُعينا ولدهم على عقوقهما بأن يتفهّموا حاجاته، ويستوعبوها، ويؤمّنوا له ما يحتاجه من الحبّ والعطف والحنان وكذلك التوعية اللازمة لكي يكون شخصًا ناجحًا في المجتمع.

وفي مقابل التحذير من عقوق الوالدين نجد كميّة كبيرة من الروايات حثّت على برّ الوالدين والاهتمام بهما بل عدّته الرويات من أفضل

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٢، ص ٣٤٨، ح١.
٢ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٢، ص٣٤٩.-

القربات. ولذلك ورد ما ورد من الحث عليه، والترغيب إليه. قال الله سبحانه: ﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾ [الإسراء: ٢٤]

٢- سوءُ الخُلُق:

إنّ أكثر الصفات والخصال لجاذبة لدى الشباب هي حسن الخلق، فحينما ترى الشابّ ذا الأخلاق الدمثة والحسنة يحصل الانجذاب التلقائي إليه وكذلك العكس بالعكس، فمن أكثر المنفّرات والمبعّدات عن الشاب هي سوء خلقه، فالأخلاق الحسنة عند الله -تعالى- أفضل من الأعمال الحسنة، وكذلك إنّ الأخلاق السيّئة أقبح من الأعمال السيئة، فالخلق السيّئ من أقبح الصفات الذميمة، وتجد الناس متأذّية من صاحبه بخلاف الخلق الحسن فانه من أحسن الصفات حيث يستر جميع المعايب بل هو من أعظم أركان الايمان. عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال: "إنّ أكمل المؤمنين ايمانًا أحسنهم خلقًا"[1].

رُوِيَ عن رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذر رضي الله عنه: «يا أباذر لا يزال العبد يزداد

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٢، ص٩٩، ح١.

من الله بعدًا ما ساء خلقه»[١].

وروي عن رسول الله ﷺ انّه قال: "ما يوضع في ميزان امرىء يوم القيامة أفضل من حسن الخلق".[٢]

٣-بذاءة اللسان:

لقد انتشرت -مع الأسف- هذه الظاهرة كثيراً بين الشباب في مجتمعاتنا في الفترة الأخيرة وخصوصًا في جلسات المقاهي، بحيث يمرّ المرء وتسمع أذناه كلامًا بذيئًا وفاحشًا قد يصل في بعض الأحيان إلى سباب الأمهات والآباء، وكذلك والعياذ بالله إلى التعرّض لمقام العزّة الإلهيّة، وهذا وإن كان بعضه لا يصدر عن سابق إصرار وتصميم بل على سبيل المزاح، لكنّ ذلك لا يلغي قبحه وكونه من المنفّرات.

ولذا كان الإسلام حريصًا على أن يكون الإنسان المسلم طاهر اللسان وعفيف القول، فلا يمكن أن يكون المؤمن فاحشًا في كلامه؛ لأنّ ذلك منشؤه الخبث واللؤم، والباعث عليها إما قصد الإيذاء وإما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق وأهل الخبث واللؤم لأن من عادتهم

---

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٧٤، ص٨٥.

٢ -محمد بن يعقوب الكليني: الكافي ج٢، ص٩٩، ح٢.

السب. وقد ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: "من خافَ النّاسُ لِسانَهُ فَهُوَ فِي النّارِ".[١]

٤- العجب والتكبر

إنّ من أخطر الآفات التي قد نراها عند الشباب المعاصر هي آفة التكبّر والخيلاء والعجب، فكثيرٌ من الشباب تراه يمشي مختالاً فخورًا ويتكبّر على الناس ولا يعيرهم الاهتمام بل قد تصل هذه الخصال الخُلُقيَّة السيّئة بالبعض إلى ازدراء الناس والتنمّر عليهم.

فالكبر والعجب كلاهما من أدواء القلوب لكنَّ الكبر يستدعي متكبراً عليه يرى نفسه فوقه وأعلى منه، بينما العجب استرواح للنفس وركون إلى رؤيتها، ولا يستدعي غير المعجب به، بل لو لم يكن إلا وحده تُصوِّرَ أن يكون معجبًا ولا يُتصوَّر أن يكون متكبرّاً. وإن كانت هذه الخصال قد ينشأ بعضها من بعض الآخر فالعُجُب عادةً ما يكون منشًا للتكبّر والغرور والخيلاء. أمّا في التكبّر فقد جاء في وصايا الإمام الصادق عليه السلام لأصحابه: "إياكم والعظمة والكبر، فإن الكبر رداء الله -عزَّ وجلَّ- فمن نازع الله رداءه قصمه الله وأذله يوم القيامة"[٢].

---

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٢، ص٣٢٧، ح٣.

٢ - محمد بن الحسن الحرّ العاملي: وسائل الشيعة، ج ١١، أبواب جهاد النفس، باب تحريم الكبر، ح٩.

٥ - البخل والحرص الشديدان

إنّ المتأمّل في المنظومة الخُلُقيَّة الإسلاميّة يظهر له بوضح التحذير من خصلة البخل، بل في بعض الروايات وصفٌ له بأنّه رأس العيوب الشّخصيّة البخيلة شخصيّة ظلاميّة، تبثّ أجواء البؤس واليأس أينما حلّت، وتجعل الحياة ضيّقة تكاد تخنق كلّ من عايشها، ومنشأ البخل غالبًا ما يكون الحبّ المذموم للدنيا والتعلّق بها، ويُرجِعُه الإمام الخميني (قدس سرّه) إلى احتجاب الفطرة : «وهذا الخُلُق الفاسد (الحرص) يُعدّ من لوازم الفطرة المحجوبة ومن جنود الجهل؛ لأنّ جميع أسسه مقامة على الجهل، والجهل بحدّ ذاته ناشئٌ من احتجاب الفطرة... وهذا يدفع الإنسان إلى التّعلّق بالدنيا، ويقوّي جذور شجرة حبّها في قلبه، ويزيّن له زخارفها، ويروث فيه مجموعة من الأخلاق والأعمال القبيحة مثل البخل والطمع»[1].

من هنا، على الشابّ أن يسعى إلى عدم ورود هذه الخصلة إلى خصاله ولا يُصغي إلى بعض الآراء التي تقول أنّها باعتبار أنّها غالبًا ما تكون موروثةً بالطبع فلا يمكن التخلّص منها وهذا ما يركّز عليه الإمام الخميني في منهجه الخُلُقيّ سواء في كتاب (الأربعون حديثًا) أم (جنود العقل والجهل)، فكلّ الخصال الخُلُقيَّة السيّئة يمكن علاجها خصوصًا من قبل

١ - روح الله الخميني: جنود العقل والجهل، ص.ص ٢١١-٢١٢

الشباب مع العزم والجِدّ والمثابرة الدائمة يقول: «وأمّا القول المعروف إنّ بعض الأخلاق السيّئة والرّذائل من الأمور الذّاتيّة فلا يمكن تغييرها، وهو ممّا لا أصل له، بل هو كلامٌ فارغٌ صادرٌ من قلّة التّدبّر. ومقولة عدم تغيّر الذاتيّات لا تصدق على هذا الباب، بل إنّ من الممكن تبديل وتغيير جميع الصّفات الإنسانيّة بالرّياضات والمجاهدات، حتّى الجبن والبخل والطّمع يمكن استبدالها بالشّجاعة والكرم والقناعة وعفّة النفس»[١].

وفي نصٍّ آخر: «إنّ النّبتة التي غُرست حديثًا يمكن لشخصٍ واحدٍ أن يقلعها، ولكن إذا ترسّخت جذورها في الأعماق عجزت الأفلاك عن قلعها، وما أكثر ما يحدث أنّ خُلُقًا سيّئًا، مثل البخل أو الحسد ، يظهر في الشّاب الفتى، فيكون بالإمكان إصلاحه بقليل من المراقبة والسّعي، بل واستبداله بالخلق الصّالح المقابل له؛ لأنّه ما يزال ضعيفًا لم يترسّخ بعد، ولكن إذا غفل عنه صاحبه مدّة وتهاون في أمره احتاج الإصلاح إلى رياضات شديدة، ومجاهدات شاقّة طويلة قد لا يمهل الأجل المحتوم الإنسان المجاهد لإكمالها، فيرحل إلى العالم الآخر بتلك الأخلاق المظلمة، والأرجاس المعنويّة، وهي علّة ومنشأ الضّغطات والظّلمات في القبر والبرزخ والقيامة»[٢].

---

١ - روح الله الخميني: جنود العقل والجهل، ص ٦٠.

٢ - روح الله الخميني: جنود العقل والجهل، ص٨٩.

٦- الحسد

الحسد هو حالة نفسيّة يتمنّى بها الحاسد زوال النعمة التي يتصوّرها عند الآخرين، ويكره وصول تلك النعمة إليهم، فيصيبه غمٌّ إنْ وصلت للآخرين، وهو خصلةٌ موجدة عند كثيرين خصوصًا الشباب فقد يرى الشابّ صديقًا له وصل إلى مراتب دنيويّة معيّنة، أو كان يتمتّع بالثروة والمال وهذا غير متوفّر لديه فيحسده ويتمنّى زوال هذه النعمة عنه.

على هذا الأساس وردت أحاديث عديدة حول التضاد بين الحسد والدين والإيمان كالحديث النبوي الشريف: «لا يجتمع الإيمان والحسد في قلب امرئ»[١]، وكذا ما ورد عنه ﷺ: "الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب"[٢].

من هنا على الشاب أن يسعى بمقدار جهده لمعالجة هذه الخصلة السيّئة إذا شعر بأنّها بدأت بالنفوذ إلى نفسه، واستغلّها الشيطان للوسوسة والتزيين؛ باعتبار خطورتها وكونها تمحق الإيمان وتأكل الحسنات، وأهمّ السبل في علاجها هو تعميق الاعتقاد بصفتين مركزيّتين في الفعل الإلهي التكويني، وفي علاقة الله تعالى بعباده، وهما عدالة الله -تعالى- في قسمة نعمه بين عباده، وحكمته تعالى في العطاء والمنع بين خلقه بحسب مصلحة الكمال الإنساني سواء على المستوى الفردي أم على

١ - المحدّث النوري: مستدرك الوسائل، ج١٢، ص١٨

٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأموار، ج٧٠، ص٢٥٥.

المستوى الاجتماعي، وممّا يساعده هذا الأمر أن ينظر إلى من لم ينعم الله عليهم بتلك النعم التي أنعمها عليه، فكلّ إنسانٍ في هذه اللوحة الكونيّة له مميّزاته ونعمه التي أنعمها الله عليه وفي المقابل له بلاءاته ونقائصه ومشاكله، وكذلك ممّا يساعده في هذه الرحلة العلاجيّة التأمّل في مضارّ الحسد وآثاره السلبيّة، سواء على المستوى الفردي: فإنّ الأثر السلبي الأول للحسد يطال الحاسد نفسه، إذ يُشعره الحسدُ بالغمّ، ويبعده عن اللذة والراحة، وكذلك على المستوى الاجتماعي؛ إذ قد يدفع الحسد الحاسد إلى إلحاق الضرر الكبير بالمحسود وأذيته ويكفي ما فعله قابيل بأخيه هابيل في بداية الخلقة شاهدًا على خطورة الحسد ونتائجه السلبيّة.

٧-الكسل

إنّ من أخطر الآفات التي تواجه الشباب في أيّامنا هي الكسل والخمول والفتور، فقد أصبحنا في زمانٍ قلَّ فيه القرّاء وفتر فيه النشاط الفكري والعملي حتى وصل إلى أدنى مستوياته؛ حيث يقضي الشباب كثيرًا من الساعات أمام التلفاز أو في تصفّح المواقع ووسائل التواصل الاجتماعي، ويكون الغرض غالبًا هو التسلية والترفيه.

ويمكن تقسيم الكسل إلى ثلاثة أقسام:

أ. الكسل في الأمور الفكريّة والثقافية، فأغلب الشباب يعانون من هذه المشكلة بحيث لا يقرؤون ولا يطالعون الكتب ولا

يهتمّون بتنمية البعد الثقافي لديهم، بل قد يصل بهم الأمر إلى الكسل حتّى في مراجعة دروسهم المدرسيّة أو الجامعيّة.

ب. الكسل الاجتماعي: من مظاهر الكسل هو الكسل الاجتماعي والتقصير في أداء الواجب وعدم تحمل المسؤوليات تجاه الآخرين؛ فممّا لا شكَّ فيه أنّ الإنسان بحاجة إلى أن يكون له ساعات خاصّة يقضيها في العبادة أو بالترفيه أو بالرياضة أو المطالعة والقراءة، لكنّ ذلك لا يُلغي حاجة كلِّ فردٍ منّا إلى الانفتاح على المجتمع والانخراط في قضاياه وهمومه التي تشغله.

ج. الكسل العملي: فكثيرٌ من شباب اليوم يقضون أوقاتهم باللعب واللهو والبطالة ولا يسعون جهدهم في تحصيل المعيشة اللائقة بهم، فصحيحٌ أنّ فرص العمل ليست متوفّرة دائمًا خصوصًا في مجتمعنا الذي يمرّ ظروفٍ اقتصاديّة صعبة ومعقّدة، لكنّ ذلك لا يعني القعود وعدم البحث عن الفُرَص المتُاحة، من هنا نجد كثيرا من الروايات التي تذمّ الكسل والفتور وتمدح بذلَ الجهد والجدَّ في السعي فعن رسول اللَّه ﷺ في وصيّته لعَلِيٍّ عليه السلام: "إيّاكَ وَخَصلَتَينِ: الضَّجرَ وَالكَسَلَ، فَإِنَّكَ إن ضَجِرتَ لَم تَصبِر عَلى حَقٍّ، وإن

كَسلتَ لَم تُؤَدِّ حَقًّا"[١]. وفي روايةٍ أخرى عن الإمام الباقر عليه السلام: «إنيّ لأُبغِضُ الرَّجُلَ أو أبغِضُ للرَّجُلِ أن يَكونَ كَسلانًا عَن أمرِ دُنياهُ، ومَن كَسِلَ عَن أمرِ دُنياهُ فَهُوَ عَن أمرِ آخِرَتِهِ أكسَلُ»[٢].

٨- الحقد والغضب والحدّة في الطباع

على الشاب أن يسعى بمقدار جهده أن يكون حليمًا ومتسامحًا، متمثّلاً في ذلك بنبيّ الله إبراهيم ﴿**وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ**﴾ [التوبة: ١١٤]، فلا يحمل في قلبه الحقد على أقرانه، ولا يُضمِرُ العداوة والبغضاء، ولا يتربّص الفرص للإيقاع بالآخرين.

كذلك على الشابّ أن يحاول تسخير غضبه في الأمور النافعة، فمفهوم الغضب لا يجب حمله فقط على المعاني السلبيّة، فالغضب حالةٌ نفسانيّة أودعها الله سبحانه في الإنسان للاستفادة منها في حفظ نفسه والدَّفاع عنها وعمّا يتعلّق به، ما يؤدّي إلى بقاء النَّوع الإنساني، ولكن هذه الحالة النَّفسانيّة قد تخرج عن حدّ الاعتدال، عندما يُسيء

---

١ - محمد بن علي الصدوق: من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٣٥٥، ح ٥٧٦٢.

٢ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٥، ص٨٥، ح٤.

الإنسان الاستفادة منه، فتُصبح صفةً مذمومة. يقول (الإمام الخمينيّ) (قدس سره): «اعلم أنّ غريزة الغضب من النِّعم الإلهيَّة، الّتي يمُكن بها عمارة الدُّنيا والآخرة، وبها يتمُّ الحفاظ على بقاء الفرد والجنس البشريّ والنِّظام العائليّ، ولها تأثير كبير في إيجاد المدينة الفاضلة ونظام المجتمع. فلولا وجود هذه الغريزة الشَّريفة في الحيوان لما قام بالدِّفاع عن نفسه ضدّ هجمات الطَّبيعة، ولآل أمره إلى الفناء والاضمحلال. ولولا وجودها في الإنسان، لما استطاع أن يصل إلى كثير من مراتب تطوُّره وكمالاته، إنّ القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتنفيذ الحدود والتَّعزيرات وسائر التَّعاليم السِّياسيّة الدِّينيّة والعقليّة، لا يكون إلّا في ظلّ القوّة الغضبيّة الشَّريفة وعلى ذلك، فإنّ الّذين يظنّون أنّ قتل غريزة الغضب بالكامل وإخماد أنفاسها، يُعدّ من الكمالات والمعارج النَّفسيّة إنّما يرتكبون خطيئة عظيمة، ويغفلون عن حدِّ الكمال ومقام الاعتدال»[1].

من هنا، على الشابّ أن يبتعد عن الغضب المذموم، أي استعمال الغضب في غير محلِّه، فهو مفتاح الشُّرور ورأس الآثام وهو من أخطر الحالات والانفعالات في الإنسان، التي إذا لم يتصدّ لضبطها والسَّيطرة عليها، فإنّها قد تظهر بشكلٍ جنونيٍّ على سلوكيَّاته وتفقده السيطرة على

١ - الإمام الخمينيّ: الأربعون حديثاً، ص١٣٢.

أعصابه لذلك ورد في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام:»الغضب يُفسد الألباب ويُبعد من الصَّواب»[١].

خاتمة:

إنّ البحث في قضايا الشباب وهمومهم ومشاكلهم وتطلّعاتهم وآمالهم وآلامهم يُعَدُّ من أهمّ الأبحاث وأكثرها تشويقًا خصوصًا في عصرنا الحاضر، فكلّ المذاهب والمناهج الفكريّة تركّز على استقطابهم والتأثير في عقولهم؛ إذ هم الأقدر على إحداث التغييرات في المجتمعات، سواء كان التغيير إيجابيًّا أم سلبيًّا بسبب عنفوانهم وهِمَمِهم العالية، من هنا نجد المنظومة الإسلاميّة بمختلف تشكّلاتها العقديّة والتشريعيّة والخُلُقيَّة تعيرهم أهميّة قصوى عبر السعي في بناء وتحصيل شخصيّة إيمانيّة محصّنة على مختلف المستويات بحيث تكون قادرةً على عكس هذا التحصين في بيئتها ومجتمعها، من هنا حاولت في هذا البحث التركيز على كيفيّة بناءهذه الشخصيّة وما يساهم في تنميتها وغزدهارها من جهم وما قد يعيق تطوّرها من آفاتٍ ومشاكل ينبغي اجتنابها، ووصلت إلى النتائج الآتية:

---

١ - المحدّث النوري: مستدرك الوسائل، ج١٢، ص١١.

١. إنّ مرحلة الشباب وخصوصًا المراهقة تُعّدّ من أهمّ المراحل العمريّة التي يمرّ بها الإنسان، فهي المرحلة الانتقاليّة التي تشهد تغيّرات وتحوّلات على مختلف المستويات الفكريّة والجسميّة والنفسيّة ما يحتّم على المربّين والأهل مراعاتها والتعامل معها بشكلٍ دقيق.
٢. لا ينبغي التعاطي مع مرحلة المراهقة كمرحلة مضطربة فقط والتركيز على الجانب الانفعالي والهائج فيها، بل يمكن التعاطي معها في الرؤية الإسلاميّة باعتبارها مرحلة متوافقة عبر تأمين مستلزماتها من الأمن النفسي والصحّة النفسيّة والأمن الاجتماعي عبر تأمين الأصدقاء الملائمين وكذلك الأمن الثقافي عبر كثرة المطالعة والقراءة وإكمال الدراسة والأمن الجنسي عبر عدم الدخول في المحرّمات.
٣. إنّ نقطة الانطلاق في بناء الشخصيّة الإيمانيّة هي معرفة النفس فمعرفة النفس؛ إذ تشكّل سؤالاً وجوديًّا وفلسفيًّا وحياتيًا وهي في الوقت ذاته نوعٌ من الصحّة النفسيّة.
٤. لا بدّ لبناء الشخصيّة الإيمانيّة أيضًا من تحصيل المعارف المتنوّعة عبر الحفاظ على الأصالة والتجديد عبر المواكبة لعلوم العصر وفي نفس الوقت التركيز على علوم القرآن والتفقّه في الدين.

٥. إنّ التأسّي والاقتداء بالنماذج الصالحة هو أمر فطريٌّ يميل إليه الإنسان ويبحث عنه فكلٌّ منّا يشعر بالحاجة إلى أن يكون أمامه نموذج حيّ يقتدي به مفهوميًّا وعمليًّا وهو يلعب دورًا بارزًا في بناء الشخصيّة الإيمانيّة.

٦. إنّ بناء الشخصيّة الإيمانيّة يقتضي التحلّي بعدّة صفات خُلُقيَّة وعمليّة وأهمّها الحُرِّيَّة، العزم والسعي وعلو الهمّة، والاستقامة والتوكّل، وتنظيم الوقت، ومشورة ذوي الرأي.

٧. إنّ بناء الشخصيّة الإيمانيّة يقتضي التخلّي عن آفات وأهمّها: الفراغ وبطانة السوء، وعدم ضبط الحوافز الجنسيّة والاستغراق فيها، والإدمان على وسائل التواصل الإجتماعي وعدم تنظيم الاستفادة منها، مضافًا إلى الخصال الخُلُقيَّة السيّئة، وأبرزها الحسد والحقد والحدّة في الطباع، والبخل، والغضب، وعقوق الوالدين.

لائحة المصادر والمراجع:

- أحمد بن زكريّا بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الاعلام الاسلامي، قم، لا ط، ١٤٠٤هـ.
- ابن منظور: لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لا ط، ٢٠١١م.
- عبد الله بن المقفّع: الأدب الصغير والأدب الكبير، دار صادر، بيروت، لبنان، لا ط، ١٩٧٧م.
- أحمد البرقي: المحاسن، تصحيح السيّد جلال الدين الحسيني، قم، دار الكتب الإسلامية، ط٢، ١٣٧١ ق.
- عبد الواحد التميمي الآمدي: غرر الحكم ودرر الكلم، مطبعة العرفان، صيدا، لا ط، ١٩٣١م.
- ابن شعبة الحراني: تحف العقول عن آل الرسول، تصحيح علي أكبر الغفاري، قم: مؤسّسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤٠٤ ق.
- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، منشورات مكتبة آية الله مرعشي النجفي، قم، ط٢، ١٤٠٤هـ.
- الحر العاملي: تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، مؤسسّة اهل البيت لتحقيق التراث، ط١، ١٤١٤ه.

- حامد عبد السلام زهران: التوجيه والإرشاد النفسي، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٩٩٤م.
- محمد صادق الخرسان: أخلاق الإمام علي عليه السلام، دار المرتضى، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٦م.
- روح الله الخمينيّ: الأربعون حديثًا، ترجمة السّيّد الغرويّ، بيروت لبنان، دار التّعارف، لا ط، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- روح الله الخميني: جنود العقل والجهل، تعريب أحمد الفهري، دار الأعلمي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
- محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، تصحيح علي أكبر الغفاري، طهران، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٤٠٧هـ.
- محمد باقر كجك ومحمد النمر: المراحل العمريّة في التربية (نظرة تاصيليّة ومقارنة)، دار الأبحاث والدراسات التربويّة، ط١، ٢٠٢٤ م-١٤٤٥هـ.
- محمد بن علي الصدوق: مصادقة الأخوان، تحقيق السيّد علي الخراساني الكاظمي، مكتبة صاحب الزمان، قم، إيران، لا ط، ١٩٨٢م.
- محمد بن علي الصدوق: من لا يحضره الفقيه، تحقيق علي أكبر غفّاري، مؤسّسة النشر الإسلامي، ط٢، ١٤١٣ هـ.
- عبد الجبار الرفاعي: ثناءٌ على الجيل الجديد، دار الرافدين، ط١، ٢٠٢٤م.

- محمد سيد فهمي: إدارة الأزمة مع الشباب، الاسكندريّة، المكتب الجامعي الحديث، لا ط، ٢٠١٢م.
- سعيد إسماعيل علي وهاني عبد الستارفرج: فلسفة التربية رؤية تحليلية ومنظور إسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ٢٠٠٩م
- محمد بن علي الصدوق: عيون أخبار الرضا، تصحيح السيد مهدي الحسيني اللاجوردي، طهران، ط٢، ١٣٧٨هـ.
- محمد بن علي الصدوق: الآمالي، مؤسّسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٧هـ.
- محمد بن الحسن الطوسي: الآمالي، مؤسّسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٤هـ.
- نعيم قاسم: الشباب شعلة تُحرق أو تضيء، دار الهادي، ط١، ٢٠٠٧م،
- عبد الرحمن العيسوي: مقالة منشورة على موقع إسلام ويب،١-١-٢٠٠٢م.
- مصطفى عزيزي: العلم والدين، مؤسّسة الدليل للدراسات والبحوث العقديّة، لا ط، ٢٠١٩ م
- محسن الكاشاني: المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، تحقيق علي أكبر غفّاري، جامعة المدرسين في قم، ط٢، ١٩٩٣م.
- مرتضى مطهري، مرتضى: الإنسان في القرآن، دار التيّار الجديد، ط١، ١٩٩٣م.

- مركز الحرب النّاعمة للدراسات، الحرب النّاعمة الأسس النظريّة والتطبيقية، بيروت لبنان، ط١، ٢٠١٤.
- مجموعة مؤلفين بإشراف الشيخ مصباح اليزدي: فلسفة التعليم والتربية في الإسلام (المفهوم والمباني الفلسفيّة للتربية)، مركز الأبحاث والدراسات التربويّة، لا م، لا ط،٢٠١٦م.
- محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار تصحيح: محمدباقر البهبودي، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٩٨٣م.
- محمد تقي مصباح اليزدي: معرفة الذات لبنائها الجديد، مؤسسة في طريق الحقّ، قم، إيران، لا ط، ١٤٠٤ه.ش.

الفهرس

مُقدّمة ٥

الفصلُ الأوّل ١١
مرحلة الشباب مرحلة الانتقال والتغيير

المبحثُ الأوّل ١٣
الشباب مرحلة انتقاليّة من المراحل العمريّة

المبحث الثاني ١٩
مميِّزات مرحلة الشباب وخصائصها

المبحث الثالث ٢٦
المراهقة مرحلة متوافقة أو مضطربة

الفصلُ الثاني ٣٥
عوامل ازدهار شخصيّة الشباب

المبحثُ الأوّل ٣٧
معرفة النفس مقدّمة للمعارف الأخرى

المبحث الثاني ٤١
بناء الذات من الناحية المعرفيّة

المبحثُ الثالث ٥٠
اتّخاذ القدوة أو المثل الأعلى

المبحث الرابع ٥٥
أهمّ الخصال الخُلُقيّة والعمليّة

المبحث الخامس..... ٦٠
العلاقة بالله والاعتدال في العبادة

الفصلُ الثالث ٧١
الآفات والمشاكل العمليّة المُعيقة لبناء شخصيّة الشابّ

المبحثُ الأوّل ٧٣
الفراغ والوقت المهدور

المبحث الثاني ٧٧
بَطانةُ السوء

المبحث الثالث ٨٥
صفات أخوان الثقة

الفصلُ الرابع ٩٣
الحوافز الجنسيّة ووسائل التواصل الاجتماعي

المبحث الأوّل ٩٥
الحوافز الجنسيّة

المبحث الثاني ١٠٢
وسائل التواصل الاجتماعي وكيفيّة التعامل معها

الفصلُ الخامس ١١٣
الآفات والرذائل الثقافيّة والخُلُقيَّة

المبحث الأوّل ١١٥
الآفات الثقافيّة

المبحث الثاني ١١٨
الآفات الخُلُقيَّة والعمليّة

خاتمة ١٣١

لائحة المصادر والمراجع ١٣٤

مَركزُ بَراثا للدّراساتِ والبُحوثِ

مركـز بحثي مسـتقل غـير ربحـي، مقـره في بـيروت وبغداد. ويهـدف لفتح المجـالات العلميـة والأكاديمية الواسـعة، أمام الباحثين والمتخصصـين؛ للقيام ببحوث تسـعى إلى فهم واقع الإنسـان والإنسـانية، من خلال التركيـز على دراسـة الميادين الفلسـفية، والاجتماعيـة، والإنسـانيـة المتنوعة، التي تشكّل في مجموعها الحراك الاجتماعي والانساني الكبير الحاصل في العالم، وخصوصا في بلادنا العربية والإسلامية، ورصد الظواهر والتحديات الفكريـة، والاجتماعيـة، والاقتصاديـة، والنفسية المختلفة، التي يمكـن أن يواجهها الفـرد والمجتمع، ومحاولة فهم ومدارسة الأسس الفلسـفية والإجتماعية والدينية التأصيلية بموضوعية وجِدة؛ سعيًا للوصول إلى حلول لها؛ من أجل السمو بالإنسان وتقدّمه في أبعاده الإنسانية المختلفة.

إنّ البحث في قضايا الشباب، كان ولا يزال، من أهمّ الأبحاث؛ لما لهم من دورٍ مركزيّ في التشكّل الاجتماعي؛ فهم الأقدر على إحداث التغييرات في المجتمعات، سواء كان التغيير إيجابيًّا أم سلبيًّا.

من هنا نجد المنظومة الإسلاميّة تعيرهم أهميّة قصوى عبر إرشادهم إلى كيفيّة بناء شخصيّة إيمانيّة محصّنة، من خلال التركيز على كيفيّة بناء هذه الشخصيّة، وما يساهم في ازدهارها، وما يعيق تطوّرها عبر التعاطي مع هذه المرحلة الحسّاسة، كمرحلة متوافقة يمكن تأمين مستلزماتها النفسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة والجنسيّة، بحيث يشكّل وعي الذات الدعامة الأولى للبناء عبر تحصيل المعارف المتنوّعة مع الحفاظ على الأصالة والتجديد، من خلال التأسّي بالنماذج الصالحة، والتحلّي بالصفات الخُلُقيَّة والعمليّة والتخلّي عن الآفات، وخصوصًا إدمان وسائل التواصل والاستغراق في الحوافز الجنسيّة بما يشكّله الفراغ والبطالة وبطانة السوء من بيئة حاضنة لهما.

- الدراسة لا تعبر بالضرورة عن رأي المركز -

مركز تراث للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد